غُربَةَ النَّدى

رواية

جنى صرصر

غُرْبَةُ النَّدَى

ـــ رواية ـــ

جنى صرصر

الإهداء

. إلى أمي ذات القلب الحنون...

. إلى أبي نبع العطاء...

. إلى حبيبتي وصديقتي ... أختي

. إلى عمتي التي هي أمي بنكهة ثانية ورائحة من أبي...

. وإلى كل من قرأ قصصي وأحبها وناقشني بأدق التفاصيل فيها...

أهديها إلى كل غالٍ على قلبي

جنى صرصر

المقدمة

هل قرأت يوما ما قصة واقعية بنكهة خيالية؟!

أظنك لم تفعل، لكنك عندما تقرأ روايتي أعدك بأنك ستغوص في بحر واسع من الخيال،

ستعيش مزيج واقع مر وحلو مع أبطالها، وستنهل من رحيق المعرفة...

كن معي لحظة بلحظة في روايتي الشبابية الأولى ...

اقرأ ... افهم ... ناقش

ولن تندم!!

يَا وَارِدَاً سُورَ عَيْشٍ كُلُّهُ كَدَرٌ أَنْفَقْتَ صَفْوَكَ فِيْ أَيْامِكَ الْأَوَّلْ

تَرْجُوْ الْبَقَاْءْ بِدَارٍ لَاْ ثَبَاْتَ بِهَاْ فَهَلْ سَمِعْتَ بِظِلٍّ غَيْرَ مُنْتَقِلَ

" الحسين بن علي الطغرائي"

الفصل الأول
- تمهيد -

1

نـدى

الطلّ، البلل الذي يبدو على الأزهار صباحا، الكرم، الجود، المطر، الكلأ، نوع من البخور....

هي البنت الكبرى من عائلة الخطيب، تعيش مع أبيها وأمها ولديها أخ اسمه أيهم الذي يبلغ من العمر 20 سنة وأختها أمل وعمرها 22 سنة

إن عمر بطلتنا ندى 28 سنة وكانت قد درست بما يعرف بمجال "الأدب الفرنسي"، فهي لم تكن تعطي اهتماماً للمواد العلمية فلم تحصل فيها على علامات تمكّنها من دخول تخصص أفضل، وكانت تعشق تعلم لغات جديدة فتعلمت اللغة التركية واليابانية بالإضافة إلى لغتيها الأساسيتين في الدراسة وهما الإنكليزية والفرنسية، وعملت كمدرّسة للّغة الفرنسية في مدرسة خاصة مختلطة لفترة معينة كان راتبها فيها جيدا نظراً إلى الظروف المعيشية الصعبة...

أما بالنسبة إلى هواياتها فقد كانت متميزة في الرسم "الهندسي المنظور"* والتظليل بالفحم بالإضافة إلى أنها كانت سريعة الحفظ فتمكنت من حفظ 15 جزء من القرآن الكريم عن ظهر قلب مع أحكام التجويد والكثير من الأحاديث النبوية الشريفة، كما أنها كانت تمتلك شجاعة وقلب جسور مكنّها من قيادة أي سيارة وبجدارة فلم تكن من الفتيات اللواتي يهبن القيادة، ولا ننسى أنها تعلمت أساسيات الطيران وكيفية التعامل عند حالات الطوارئ من خلال دورة مكثفة في الأردن...

إن بطلتنا ندى تتسم بالصدق والشفافية ومهما كان قول الحقيقة صعب كانت تقولها، ولا ريب بأنها مخلصة في عملها ... لطيفة ... شجاعة... وتحب مساعدة الآخرين.

2

شهر الغفران

- أمل قولي لي كم الساعة الآن؟
- ماذا هناك يا ندى؟ هل فاتكِ موعدٌ ما؟
- كلا ... كلا لم يفوتني أي موعد، بالأصل ليس عندي موعد لكنني انتظر منذ الصباح إلى أن يحين موعد التماس هلال شهر رمضان
- آه ... كدتُ أنسى، حسناً الساعة الآن السادسة وعشر دقائق بقي خمس دقائق لبداية الالتماس
- إذا سأشغّل التلفاز على قناة "نور الشام" لنرى هل غداً بداية شهر رمضان أم لا
- أوافقكِ الرأي وأنا سأنادي أمي

****

دخلت أمل إلى المطبخ لترى أمها منهمكة في إعداد طعام العشاء، فبادرتها بالسؤال:

- أمي هل تحتاجين إلى المساعدة؟
- لا شكراً ... فكما تعرفين أنني لا أحب أن يساعدني أحد في إعداد الطعام
- طبعاً ... فطبخي لا يعجبك
- كفى الآن دعيني أكمل عملي
- هل أذهب؟
- انتظري قليلاً ... حسناً قومي بتنظيف الصحون ولكن بشكلٍ جيد
- حااضر ... دائماً نفس العمل

ومن ثم استطردت قائلة:

- آه تذكرت ... كنت قد أتيت إلى هنا من أجل إخبارك أن التماس هلال رمضان قد بدأ للتو لكي تحضري
- لست متفرغة الآن ... عندما تنتهي اذهبي وتابعي وبعدها تخبرينني بالنتيجة حسنا؟
- نعم ... نعم حاضر

* * * * * * * * * * * * * * * *

- ماذا هل قالوا متى رمضان؟
- ليس بعد ... أنا انتظر منذ ربع ساعة ولم يحدث شيء
- كالعادة ... يأخذ الالتماس وقت طويل، لكن تحلّي بالصبر
- انظروا من يتكلم!

وبعد انتظار خمس دقائق أخرى تم رصد هلال شهر رمضان وتم إعلان أن يوم غد سيكون أول أيام الشهر الكريم فعمّت الفرحة أرجاء البلاد!

* * * * * * * * * * * * * * * *

وعلى طاولة العشاء:

- أمي لقد أثبتوا على التلفاز أن يوم غد هو أول أيام شهر رمضان
- الحمد لله ... فليجعله الله شهر خير وسلام علينا يا ندى
- سنرى كيف سيكونون الطلاب معي في أول يوم من رمضان
- سيكون عقلهم في الطعام الذي سيتناولونه على الإفطار ولن يركزوا معك
- أتمنى ألّا يحدث هذا يا أمي
- وماذا سيكون طعام الإفطار؟
- وهل هذا ما يشغل عقلكِ يا أمل؟
- أفضل من التفكير بالمشاكل ... أليس كذلك.

- بالطبع، ومارأيكم يا عزيزتَي؟
- " شاكرية ورزّ طعام يحتوي لبن... (سوياً)
- فكرة جيدة ... فلنرى همّتكن فأنتن من سيقوم بتحضيرها
- حقاً ... لم أكن أعرف أنك ستأكلين من طبخي
- لا تقلقي فستشرف عليك أختك الكبيرة
- ستعمل تحت أمري عندما ينتهي دوامي بالمدرسة
- تحت أمرك؟! هذا ما كان ينقصني ... قال تحت أمري قال!
- يكفي أنتما الاثنتان ... هيا فلترفعا العشاء من على المائدة ولتذهب إحداكنّ لتحضر السحور
- فلتذهب ندى أنا أريد أن أنام
- كلا حضّريه أنت أنا مشغولة بتحضير درسٍ مهم
- آه ... حسناً فلتحضروه أنتما الاثنتان
- أمي!
- أمي!
- هيا لا تتكاسلا

* * * * * * * * * * * * * * * *

- ما أجمل أن يكون عندي أخت كبيرة خاصةً إن كانت مزعجة
- أو أخت صغيرة مزعجة أيضا
- حقاً أنا سعيدة لكونك أختي!
- أمل .... هل تتكلمين معي هكذا لكي أضع السحور لوحدي؟
- لا أبداً، أحببت أن أكون لطيفة
- لا عليك، كنت أمازحك فأنت لطيفة وذات قلب طيب مهما تكلمت ومهما فعلت

- حبيبتي .... هيا يجب علينا أن نبدأ قبل أن تأتي أمي وتوبخنا
- حسناً .... اسلقي البيض ريثما أهيئ الحواضر
- وماذا بعد؟
- والآن .....
- وآخر شيء نجهز التمر مع الحليب أليس كذلك؟
- بالطبع

* * * * * * * * * * * * * * * *

- هل أتى أيهم يا أمل؟
- نعم لقد أتى قبل قليل وهو نائم الآن في غرفته
- فلتوقظيه إذاً وأنا سأوقظ والديّ
- حسناً سأفعل

وبعد استيقاظ الجميع جلسوا لتناول طعام السحور ولتبادل أطراف الحديث كونه أول سحور لأول يوم صيام، وبعد انتهائهم قامت ندى بتنظيف الصحون أما أمل فكانت قد نظّفت الطاولة، وبعدها استعدوا جميعاً لأداء صلاة الفجر ومن ثم خلدوا جميعاً إلى النوم، إلا ندى فبعد انتهائها من الصلاة قامت بتجهيز أغراضها للذهاب يوم غد إلى المدرسة ومن ثم وضعت منبه ليوقظها في الساعة الثامنة وعندما انتهت غطّت في نوم عميق

* * * * * * * * * * * * * * * *

فتحت ندى عينيها بجهد، رفرفت أهدابها في توتر قبل أن تتذكر أنها لم تستيقظ على رنة المنبه وموسيقاه الصاخبة وهذا يعني أنه يوجد احتمالان إما أنها استيقظت قبل أن يرن المنبه أو أنها ..... أو أنها لم تسمع المنبه عندما رن وهكذا تكون قد استيقظت بعدما رن بكثير أو بقليل، وللتأكد قامت بتقاعس لترى كم الساعة على هاتفها الخلوي الذي كان على الطاولة القريبة من تختها وعندما فتحت هاتفها انصعقت لأن عقارب الساعة كانت تشير إلى

التاسعة إلّا عشر دقائق! ودوام المدرسة يبدأ عند الساعة التاسعة تماماً!، ومن دهشتها نسيت سهرها إلى منتصف الليل وإرهاقها، فقفزت من سريرها وركضت إلى خزانتها مسرعة فأرادت أن تأخذ أي شيء لكي تلبسه وتلحق بالدوام لكن كان تيار الكهرباء مقطوع فلم تتمكن من إيجاده فهمّت لكي تفتح الستائر ومن ثم وجدت قميصاً أرجواني اللون وتحته بنطال جينز قاتم فارتدتهما بسرعة ثم صففت شعرها، فمع أنها مسلمة إلا أنها لم تكن مقتنعة بالحجاب، وعندما انتهت خرجت لتركب سيارتها وتقودها بسرعة 110 مع أنها سرعة جنونية إلا أن ندى كانت جريئة بالقيادة وخصيصا القيادة السريعة، نزلت من السيارة وركضت باتجاه بوابة المدرسة وعندما دخلت إلى الصف وكانت قد تأخرت ثلث ساعة عن الحصّة الدرسيّة أي 20 دقيقة رأت المشرفة توبّخ طلاب وطالبات الصف السابع بسبب إحداثهم للفوضى والضجيج، فقالت متظاهرة بعدم الاكتراث:

- صباح الخير ... حسناً سنبدأ اليوم بدرس قواعد هيا افتحوا كتبكم جميعاً وأنصتوا لي جيداً
- حسناً يا آنسة ندى سأذهب الآن بسبب كثرة عملي، لكنني أريد أن أحادثك في مكتبي عند انتهاء هذه الحصة

وأغلقت خلفها الباب بعنف لتأخذ ندى دفة الحديث وتبدأ بشرح درسها الذي يتحدث عن الأفعال الشاذّة، إلى أن يقف طالب ليقاطعها ويقول بصوتٍ جهوري:

- يا معلمتي ... أنا إلى حد الآن لا أفهم عمّا تتحدثين!
- ولماذا يا أحمد؟! ... أين عقلك؟
- كيف تريدي مني أن أركز معك، وأنا صاااائم!
- وماذا يوجد في الأمر؟
- يا آنسة (آخذ *علي الصيام*) وليس بمقدوري أن أركز معكِ

- كلنا صائمون، ولم يقل أحد هذا الكلام غيرك فأنت اتخذت من صيامك حجة لعدم انتباهك ... آه حسناً سأعيد شرح الدرس للمرة الأخيرة ركّز معي جيداً هل فهمت ما أقوله؟
- أمرك
- سنحفظ الأفعال الشاذة على شكل أغنية ومن ثم سنستخرج استخداماتهم سوياً....

فقُطِع شرحها مرة أخرى ولكن هذه المرة ليس بسبب نقاش أحمد وقلة انتباهه وإنما بسبب رنين الجرس الذي يعلن انتهاء الحصة الأولى، فقامت ندى بجمع كتبها وأغراضها لتذهب إلى مكتب المشرفة التي تنتظرها ولترى ماذا تريد منها؟!

* * * * * * * * * * * * * * *

- كل يوم تأخير ... متى ستنتهي هذه الحالة؟
- اللهم إني صائم.....
- ماذا تعنين بهذا تكلمي؟ أم أنه ليس لديك تبرير، أنا لن أتحمل ضجيج الطلاب وشغبهم مرة أخرى، هل تفهمين؟

صمت .... صمت

- إن كنت ستتأ..
- أنا..لن.. أتأخر.. ثانية
- تقاطعينني وبكل وقاحة هاه!
- أولا: إن كنت أكبر سناً مني فهذا لا يعني أبداً أن تخطئي في حقي، ثانياً: أنا أتحدث معك بطبقة صوت منخفضة ليس خوفاً منكِ أو من رتبتكِ بل لأن تربيتي تنصُّ عليّ هذا، وماذا عن حضرتك؟!! ... تصرخين بجنون واضح مع أنه لا يوجد أي شيء يدفعك إلى الصراخ، وثالثاً والأهم: إن الكادر الإداري هو من

يستطيع لومي أو محاسبتي على ما فعلته وليس أنت يا آنسة دعاء .... والآن سأذهب لأكمل عملي عن إذنك...

ثم خرجت ندى منتصرة لتكمل يومها الأول في التدريس بعد الانقطاع لمدة لا تقل عن شهر ويصادف أنه اليوم الأول من رمضان...

* * * * * * * * * * * * * * * *

دخلت ندى إلى صف كُتب عليه " عاشر /خامسة " لتلتقي بطلاب وطالبات الصف العاشر، كان نظام ترتيب الشعب يعتمد على علامات السنة التي قبل السنة الحالية فمثلاً: ترتيب شعب الصف العاشر يعتمد على مجموع علامات الصف التاسع وهكذا....

- صباح الخير
- أي صباح هذا إنه ظهر الخير
- هل هذه طرفة؟ حسنا اليوم لدينا ورقة عمل ويتوجب علينا أن نحلّها، هيا أخرجوها كي نبدأ
- معلمة .... لقد مزقَتها البارحة أختي الصغيرة
- ما هذا الإهمال؟! أخرجي ورقة خارجيّة وقومي بتدوين الحل عليها سريعاً
- حسناً سأفعل
- أولاً سوف أقوم بقراءة النص...

وبينما كانت تقرأ النص مرّت بجملة تقول:

"j'achete un kelo de tomates"

وتعني اشتريت كيلوغرام من الطماطم، فقال أحد الطلاب يسخر من كلمة "j'achete"

- دجاجةٌ أم ديك؟ هههههه!

ومع أنها كانت طرفة سخيفة للغاية إلّا أنّ معظم الطلّاب والطالبات ضحكوا عليها وبدأوا بإحداث الفوضى، فحدّجتهم ندى بنظرة ناريّة ثمّ قالت بلهجة صارمة:

- كفى مقاطعة ... من الآن فصاعداً سأعاقب أي طالب تصدر عنه تعليقات سخيفة حول موضوع الدرس، هل فهمتم؟

فرنّ جرس الحصة فخرجت ندى وهي غير راضية عن سير الحصة على هذا المنوال، ومن ثم أكملت إعطاء الدروس بجهد وإخلاص وبالطبع مع بعض المعاناة إلى أن انتهى الدوام...

* * * * * * * * * * * * * * * *

وبينما كانت ندى تهمّ بالخروج من المدرسة التقت بمنيرة صديقتها في العمل فحيّتها باقتضاب بسبب شدة تعبها، وخرجت لتقود سيارتها فأوقفها صوت منيرة وهي تقول:

- ندى ... انتظريني قليلاً من فضلكِ
- حسناً
- هل بإمكانك اصطحابي معك بالسيارة إلى منزلي ... أرجوكِ
- نعم بكل سرور، لكن لماذا؟
- لأن الطريق مزدحم جداً واليوم هو أول يوم من شهر رمضان، والساعة الآن الثالثة والنصف وإن كنت أريد أن أنتظر باصاً كي يأتي ثم أركب باص آخر سيتطلب وقتاً ليس أقل من ساعة، وعندما أصل إلى منزلي عليّ أن أحضر الإفطار من وجبة رئيسيّة وعصائر ومقبلات وعليّ أيضاً أن أنظف المنزل، فلن أستطيع إنهاء كل شيء قبل أذان المغرب
- آه ما هذا، لقد رويت لي قصة حياتك
- حقاً؟! أنا آسفة
- لا يوجد داعي للأسف، كنت أمزح ... هيا اصعدي .... ولنذهب!!!!

* * * * * * * * * * * * * * * *

- السلام عليكم
- وعليكم السلام، أهلاً بعودتك

- كيف حالك يا أمي
- بخير ... الحمد لله
- حسناً ... سأبدّل ملابسي وألحقك إلى المطبخ كي نبدأ أنا وأمل بالطهي
- فكرة جيدة

بدّلت ملابسها وارتاحت قليلاً، ومن ثم دخلت إلى المطبخ وبدأت بطهي " الشاكرية " مع أختها أمل، وهن يتجاذبن أطراف الحديث ويمرحن سوياً وعندما انهين الوجبة الرئيسية انتقلن إلى صنع البرك وقليها وتحضير العصائر الطازجة " كالتمر الهندي والعرقسوس والليموناضة والعصائر الأخرى "، وآخر شيء رتبن المائدة ووضعن الطعام عليها بالإضافة إلى التمر مع الماء...

- يا الله ما أجمل مائدة رمضان فهي مفعمة بالألوان والأشكال المختلفة، ألا توافقيني الرأي يا ندى؟
- نعم بالطبع هي جميلة
- كم بقي لأذان المغرب
- عشر دقائق تقريباً
- لم يتبقى الكثير " هانِت "

* * * * * * * * * * * * * * * *

الله أكبر ..... الله أكبر

اللهم إنا لك صمنا ... وبك آمنّا ... وعليك توكّلنا ... وعلى رزقك أفطرنا ... ذهب الظمأ وابتلت العروق ... وثبت الأجر إن شاء الله تعالى ... يا واسع المغفرة اغفر لنا جميعاً يا كريم ... اللهم أعنا على الصيام والقيام ... وغضِّ البصر وحفظ اللسان ... وأدخلنا الجنّة بسلام ... آمين

- الحمد لله لقد أفطرنا

- هل سنصلي جماعة قبل تناول الطعام؟
- سوف اسأل والدي
- حسناً ... سأنتظر

* * * * * * * * * * * * * * * *

رمضان ... شهر الغفران ... تتخاطفه الملائكة، يمر رمضان على جميع الناس مثل النسيم العليل الذي يشرح القلوب ... كالضيف الخفيف فلا يشعر أحد بمشاقه إلا المسكينة ندى فتضاعف عملها من المدرسة إلى أعمال المنزل مع أمل، لكنها كانت تتقبل كل هذا بصدر رحب....

إلى أن أتى يوم لم تكن تحسد عليه أبداً ... وكان يوم سبت ... فلماذا؟ وماذا حدث معها؟!

3

يومٌ كألف يوم

- صباح الخير ماما
- أهلاً حببتي ... صباح النور
- هل قرأت خبر البطاقة الذكية على الفيس بوك؟
- نعم قرأته ... حسبنا الله ونعم الوكيل ... ومن سيقوم باستخراجها لنا؟
- دعيني أفكر ... لماذا لا أستخرجها أنا؟
- صعبٌ عليكِ ... ومتى ... وكيف سيحدث هذا؟
- لا عليك، اليوم فهو عطلة ... توكلي على الله
- رضي الله عليكِ ... حاولي لكن لا تضغطِ على نفسكِ
- حسناً ... على بركة الله

وبينما كانت تهم بالخروج من الغرفة استطردت أمها:

- ولماذا لا ... لا يخرجها أيهم؟
- دعيه وشأنه ... فهو مهتم بعمله ... يذهب في الصباح الباكر ولا يعود إلا لمنتصف الليل
- صحيح ... أصبتِ
- سأذهب قبل أن يشتد الحر أكثر ... السلام عليكم

* * * * * * * * * * * * * * * *

كانت ندى لا تدري أنها سوف تبدأ مغامرة شيقة لكنها شاقّة في نفس الوقت، ونهايتها تتطلب الكثير من العناء وهنا تبدأ المغامرة....

كان الطريق مزدحم للغاية فالكثير من بائعي " الناعم " و " التمر الهندي " و " العرقسوس "، وأكوام الناس على محلات الحلويات وعلى المحامص أيضاً لتجهيز ضيافة العيد، وطبعاً التجمعات الهائلة على المتاجر التي تخص الملابس، لكنها وأخيراً وبعد مرور أكثر من نصف ساعة وصلت إلى المركز مع أنه ليس ببعيد عن منزلها ولا يتطلب الكثير من الوقت لكن هذا تقدير الله....

كانت ندى لا تعلم أنه يجب عليها أن تسجل اسمها على الدور في الصباح الباكر لكيلا تتأخر فاضطرت لتسجيله وكان من الأسماء الأخيرة تقريبا في القائمة ما يعني أنها ستستغرق وقتاً طويلا، لكنها حاولت أن تتقبل الأمر بصدر رحب وبينما كانت تنتظر رأت امرأة مسنة تنتظر على مقعد غير بعيد عنها فأتت لا إراديا لتجلس بالقرب منها:

- صباح الخير يا خالة
- أهلا يا ابنتي صباح النور
- هل تنتظرين منذ وقت طويل هنا؟
- منذ ثلاثة أرباع الساعة تقريبا ... فرقمي هو السادس والثلاثون، وهم يدخلون الأشخاص "بالواسطة" أي يدخلون رجال الأمن أولاً ومن ثم الرجال أو النساء المدعومين من قبل الدولة، أما العجائز أمثالي فلا يعطونهم أي أهمية
- " الله يفرج أفضل شيء " معك حق يا خالة
- هل معكِ دفتر العائلة؟
- نعم بالتأكيد!
- وهل تأكدتِ؟
- لا داعي لهذا فأنا أذكر أنني أخذته معي

وبعد أن تبادلت أطراف الحديث مع العجوز وتكلمتا بموضوع المعيشة الصعبة وغلاء الأسعار حيّتها ندى ومن ثم رجعت إلى المكان الذي كانت تقف فيه منذ مدّة بسيطة لتنتظر ... وتنتظر، إلى أن بدأ مدير المركز يجعل كل عشرة أشخاص يدخلون سوياً عشرة ... عشرة، فأتى الوقت المنتظر وجاءت دفعة ندى فكانت الشخص التاسع في هذه الدفعة، وعندما أتى دورها تحدثت مع الموظفة قليلا وبعدما انتهت من توجيه أسئلتها لندى وتدوين الإجابات على قصاصة ورقيّة، طلبت منها إعطائها دفتر العائلة فهمّت لكي تخرجه من حقيبتها المتلئة بالأغراض المفيدة وغير المفيدة.....

- حسناً ... انتظريني لحظة واحدة فقط
- بسرعة فيمكن أن تنطفئ الكهرباء بعد قليل
- آه يا ربي ... أين هو ... لم أستطع إيجاده ... ربما نسيته في المنزل أوضاع مني ... حسناً سأتفقده في السيارة
- لا تضيعي وقتنا، فهناك أناسٌ غيرك ينتظرون إلى أن يحين دورهم ... إذهبي وعودي غداً
- ماذا؟ بعد كل هذا الانتظار؟!
- طيب، إذهبي إلى النفوس واستخرجي بيانا عائليا ولكن أسرعي...
- حسناً سأفعل

وبسرعة البرق قادت ندى سيارتها باتجاه النفوس وأخرجت بياناً عائلياً ولكن عندما عادت إلى المركز كانت الصدمة!!

- ماذا؟! أليس لديكم مولّدة للكهرباء لتقوموا بتشغيلها عند انقطاع الكهرباء؟
- بلى لدينا مولّدة لكن ليس لدينا ... مازوت
- وما الحل الآن؟
- سننتظر

انتظرت ندى ساعة وعشر دقائق إلى أن أتت الكهرباء ... لكنّ الساعة كانت تشير إلى الثالثة إلى ربع والمركز يغلق عند تمام الساعة الثالثة، فأتمّت ندى مستلزمات البطاقة وأخذتها وعادت إلى المنزل وهي تكاد أن يغمى عليها من التعب، وعندما عادت كانت الساعة الثالثة والثلث....

4
نـهايـةٌ مَشقّة

- السلام عليكم ... كيف حالك يا أمي؟
- وعليكم السلام ... اذهبي وارتاحي الآن فسيأتينا ضيوف بعد قليل وسنتكلم في وقت لاحق
- ومن هم الضيوف؟
- خالتك سعاد وزوجها مع ابنتها سمر وزوجها وأولادها
- حقاً! وهل سيفطرون عندنا؟
- نعم، لكن لا تقلقي حيال طعام الإفطار فستقوم أمل بمساعدتي في الطهي
- حسنا ... سأذهب الآن كي أستحم وارتاح قليلا ريثما يأتون

* * * * * * * * * * * * * * * *

- سأفتح الباب ... آه أهلا بكِ يا خالتي العزيزة سعاد
- حبيبتي ندى ... كيف حالكِ؟
- بخير والحمد لله
- مرحبا يا ندى
- سمر حبيبتي وصديقة طفولتي ... أهلا بكِ!
- هاتان ابنتي غنى ونور
- أهلا بكما ... ألم يأتي زوجك معكِ يا سمر؟
- قال سيأتي عند الإفطار مع والدَينا
- حسنا كما يشاؤون ... هيا تفضلوا لقد أنرتم بيتنا بقدومكم

* * * * * * * * * * * * * * * *

كان إفطاراً عائليا رائعا ممزوجا بالمحبة والتآلف، وبعد انتهاء الإفطار تقاسمت كل من الفتيات أعمال الترتيب والتنظيف فأمل قامت بتنظيف المائدة، أما ندى فقد نظفت الصحون وبما أنه لم يتبقى عمل لسمر فشغلت نفسها في تحضير الشاي الأخضر مع النعناع للضيوف ... أما الكبار فقد انقسموا لمجموعتين الرجال في غرفة الضيوف والنساء في غرفة المعيشة لكيلا يحرج أحدهما الآخر وعندما انتهت الفتيات من العمل جلسن في غرفة ندى يتجاذبن أطراف الحديث، فقالت ندى مداعبة لسمر:

- نعم يا سمر ... أخبرينا عنكِ
- آه يا ندى هل تجرين معي مقابلة؟
- كلا ... كلا لكنه مضى وقت طويل على لقائنا الأخير فلم أعد أعرف عنكِ وعن أخبارك الكثير
- حسنا ... بعدما أنهيت الجامعة وحصلت على شهادة في التجارة والاقتصاد لم أرد أن أنهمك في عمل لأنني كنت قد أنجبت ابنتي الأولى غنى فلم أكن أود الابتعاد عنها، فجلست في المنزل كي أعتني بها وبعدها أنجبت نور وقلّ خروجي من المنزل فصرت أحاول أن أشغل وقتي بما يفيدني
- مثل ماذا؟
- سؤال جيد يا أمل، ما زلت أمارس بعض الهوايات مثل الرسم بالفحم والكتابة، لكنني أقضي أغلب وقت فراغي في هوايتي المحببة ألا وهي القراءة فهي لا تحتاج إلى مقومات معينة كما أنها مفيدة وتنمي العقل
- بصراحة أنا أيضا أعشق القراءة، هل لديك كاتبة محددة تقرئين لها؟
- لا ... فأنا أنتقي الكتاب أو الرواية التي يعجبني اسمها ولكنني أتجنب مجال الخيال العلمي لأنني لا أحبه أبدا، وأحيانا أجد في الروايات البوليسية متعة كبيرة

دعكم مني الآن ... لقد صار دوري كي أجري مقابلة معكم، حسنا سأبدأ بكِ يا أمل...

وقطع حديثهن صوت أمها تحثها على الإسراع لأنهم يريدون الرحيل

- آه ... ليس الآن
- الحمد لله لقد ارتحت من أسئلة المدللة
- لا بأس يا أمل، مؤكد أنني سأسألك فيما بعد ... هيا إلى اللقاء

* * * * * * * * * * * * * * *

- حسناً لقد انتهيت من كتابة القائمة فلتقرئيها يا ندى

6 كيلو من الطحين

3 كيلو من السمن البقري

2 كيلو من الفستق الحلبي

2 كيلو من الجوز البلدي

2 كيلو من جوز الهند

1 كيلو من السمسم

- هل سنصنع حلويات العيد؟؟
- نعم يا ابنتي فالعيد على الأبواب فلنرى همتكما
- ومن سيشتري كل هذه الأغراض
- ومن غيركما
- حاضر
- كما تشائين

* * * * * * * * * * * * * * *

انتهت عائلة الخطيب من تحضير حلويات العيد من معمول بالفستق الحلبي ومعمول بالجوز البلدي والبرازق والغريبة اللذيذة والبتيفور، وتنظيف البيت أو ما يعرف بالتعزيل ليأتي العيد ببهجته مصطحبا معه فترة جديدة من حياة بطلتنا ندى وكأنه قرن آخر حدثت فيه تغيرات في حياتها وحياة من حولها ... فيا ترى هل كانت هذه التغيرات التي طرأت جيدة أم العكس؟!

5

ومن ثمَّ العيد!

اللّه أكبر اللّه أكبر

لا إله إلا اللّه

اللّه أكبر اللّه أكبر

وللّه الحمد

ما أجمل العيد وخاصة أول يوم فيه، كانت عائلة الخطيب تمارس فيه طقساً يدعى " جلسة العيد " فيقوم الرجال وأحياناً النساء بالذهاب إلى المسجد لأداء صلاة العيد والاستماع إلى الخطبة ثم يذهبون إلى قبور موتاهم ليقرؤوا الفاتحة على روحهم وليسقوا قبورهم، وبعدها يتجمعون في بيت الأخ الأكبر وهو والد ندى ليشربوا القهوة العربية المرّة ثم يحتسون المتة وهم يتجاذبون أطراف الكلام وعند انتهائهم يتناولون فطورا ملكيا ولذيذا للغاية ويعرف بفطور العيد وأخيرا يشربون الشاي بالإضافة إلى تناول بضع قطعات من الحلوى ويذهبون إلى منازلهم...

* * * * * * * * * * * * * * * *

- ألم يرد عليك؟
- إلى حد الآن لا يوجد جواب
- اللهم احفظ ابني أيهم وسلمه لنا
- آمين يارب
- وقُطع حديثهم صوت رنين الجرس، فهمّت ندى لتفتح على أملِ أن يكون أخوها أيهم الطارق.
- من على الباب؟

- افتحي يا ابنتي
- أهلا يا أبي
- السلام عليكم
- وعليكم السلام ورحمة الله
- ما بكما أراكما متوترتين؟
- لقد ذهب أيهم مع أصدقائه البارحة وقال إنه سيعود في صباح هذا اليوم وها قد أصبحت الساعة السابعة مساءً ولم يرجع إلى المنزل وقد حاولت الاتصال به لكن هاتفه خارج نطاق الخدمة
- امممم ... حسنا لا تقلقا عليه فقد أصبح رجُلا وعليه أن يتحمل مسؤوليته كاملة

طُرق الباب من جديد فهمّت ندى مرة أخرى لتفتحه...

- مرحبا
- آه أيهم أهلا بك ... لقد قلقنا عليك
- أين كنتَ يا أمي؟ لقد تأخرتَ كثيراً
- حسنا سأخبركم بكل شيء لكن بعد الغداء فأنا جائع جدا
- حسنا يا أخي سأذهب لوضع الغداء على المائدة

كان غداء ثقيلاً فكلٌّ منهمك بالتفكير وأكثرهم أيهم الذي غاص في أفكاره المتوالية، وبعد الغداء جلسوا جميعا حول المدفأة ليبدأ أيهم بسرد الأحداث عليهم، ولقد كان يتمتع بطريقة سرد تجعل المتحدث يعيش الكلام المحكي، وكأنه حكواتي زمانه!...

- بعد أن غادرنا المزرعة أخذت أوصل أصدقائي إلى منازلهم، لكن آخر صديق كان منزله في ضاحية قدسيا، وعندما كنت أقود في طريقي نحو المنزل توقفت عند حاجز فقاموا بإنزالي من السيارة وأخذوني إلى أحد الفروع...
- أحد الفروع؟؟!

- نعم ... بسبب تقرير كان أحدهم قد كتبه بي
- ومن قد يفعل هذا؟ ولماذا؟ فأنتَ لا تؤذي حتى الذبابة ! !
- لا أعرف من ولماذا ... المهم بعد استجواب عقيم وحرقٍ للأعصاب لمعت في خاطري فكرة فاتصلت بصديق لي وكان ذو نفوذ في الدولة فتحدث مع أحد الضباط في الفرع فقام بإعفائي من السجن لسبب ما أزال أجهله حتى الآن
- الله يزيد من فاعلي الخير!
- آمين ... على كل الأحوال لقد مضت والحمد لله أما الآن ماذا عن موضوع السفر؟
- أظن أنه لم يعد يوجد أمان في هذه البلد لكن أبوك الآن مرتبط بعمل مهم ولا يستطيع المغادرة وأنا لن أغادر وأتركه، ماذا عنك يا أمل؟
- كما تعلمين يا أمي ... أنا دائما معكم
- مع أن السفر صعب لكنني أرجح فكرة السفر فبعد تقديم استقالتي في المدرسة لم يعد هناك شيء أكسب رزقي منه
- إذا أنا وندى مع السفر ... حسنا ما رأيكم أن نسافر أنا وندى إلى لبنان أولا وعند انتهاء والدي من العمل تقوموا باللحاق بنا أنتِ وأمل؟
- نعم هذا جيد ... سنتصل غدا بالسائق ونحدد موعد ليقلّكم معه إلى لبنان
- على بركة الله إذا....

الفصل الثاني
- بداية مؤلمة -

6

انـتبـه!!

استيقظ الشتاء من سباته العميق، فأصاب البرد الناس بنفحاته، وأتى على البلاد ريح صرصر عاتية تلسع الوجوه كالزنابير، وأثلجت السماء فأصبحت الشوارع خالية مقفرة يكاد لا يرى فيها ساكنا، إلا من كلاب ضالة تنبح الأمطار وتفتش في القمامة عسى أن تجد فيها طعاماً.... تطلّعت ندى من شباك السيارة فرأت الثلوج تكسو كل مكان فأحست برشفة من البرد تكسو عظامها فابتسمت وهي تغمض عينيها وتتذكر قول الشاعر محمود الخفيف:

شبحٌ أنت يا شتاء مخيف قارس البرد زمهرير شفيف

عاصف أينما حللت عنيف

لكنها عندما فتحت عينيها رأت ضوءً أصفراً ساطع يقترب منهم ويقترب إلى أن تجلت الرؤيا عندها، فصرخت في سائق السيارة لتوقظه من غفلته:

- انتبه!!!!

* * * * * * * * * * * * * *

فتحت ندى عينيها مجدداً لترى نفسها في غرفة بيضاء، هل يا تراها ميتة الآن؟ أم ماذا؟ قطع تفكيرها صوت لطيف يخاطبها:

- الحمد لله على سلامتك آنسة ندى
- أين أنا؟ وكيف أتيتُ إلى هنا؟
- كنتم قد تعديتم الحدود اللبنانية عندما حصل لكم حادث مروِّع فقمنا بإسعافكم إلى هذه المستشفى
- حادث؟! مستشفى؟! ما الذي يحصل لي؟!

انزوت في تفكيرها مرة أخرى ... فتذكرت آخر شيء كان قد حصل لها وهو صراخها والحادث! فقالت كالذي تدارك نفسه الآن:

- الحادث!! أيهم!!
- آنسة ندى لقد تعرضت لبعض الرضوض في رأسك وللأسف لكسرين أحدهم في قدمك اليمنى والآخر في يدك اليمنى وهناك ثلاثة رجال أيضاً اثنين فقدوا الحياة وآخر يصارع الموت....
- فقدوا الحياة؟! الموت؟! وأين أيهم؟!
- من هو أيهم؟! بكل الأحوال عندما تتحسنين قليلا سنأخذك إلى عند الرجال الثلاثة فربما تتعرفين على أحدهم
- لا لن انتظر ... خذوني الآن
- لكن يا آنسة...
- أرجوكِ!!!

قالتها ندى وهي تكاد تختنق من دموعها الحبيسة، لكنها لم تعد تستطع أن تهدأ أكثر فأخذت عبراتها الساخنة تسيل على وجنتيها ببطء

- حسنا ... ليس لدي خيار آخر، لكن يجب عليك أن تتملكي نفسك فصحتك هي الأهم
- سأحاول لكنني لا أعدك

قامت ممرضتان بنقل ندى إلى غرفة العناية المشددة بواسطة كرسي للعجزة لأنها كانت متعبة ولم تتمكن من السير على قدمها المكسورة، كان هنالك رجلان ميتان في غرفة ورجل آخر ما يزال تحت العناية المركزة، لكنها أرادت أولا أن تدخل إلى الغرفة الأولى التي تحتوي الرجلان الميتان

- حاولي أن تتعرفي عليهم يا آنسة

تقدمت ندى بذعر نحو أول سرير فقالت بصوت حزين:

- إنه سائق السيارة التي أقلّتنا إلى لبنان فؤاد الياسر، رحمه الله
- آمين ... وماذا عن الآخر

خشيت ندى أن يكون الآخر هو أيهم لكن المرضة حثّتها على التقدم فرضخت ندى لكلامها وتقدمت

- لا أعرفه ... هذا ليس أيهم ... إذن أين أيهم؟
- حسناً ربما يكون سائق الشاحنة التي اصطدمت بسيارتكم ... سائق متهور لكنه لقي حتفه بسبب هذا
- نعم ... إذن أيهم؟؟!
- فلنذهب للغرفة الأخرى لكنه لا يمكننا الدخول، سنرى الرجل الثالث من خلف الزجاج فحياته في خطر
- حسنا

لم تكن تدرك هل تفرح أم تحزن؟ هل هو أيهم أم أن أيهم مفقود

- وصلنا

تطلّعت ندى من الزجاج فرأت رجلا ممداً على فراش أبيض يضع جهازاً للتنفس ويوصل به العديد من الخراطيم والأجهزة، كانت حالته محزنة حقاً لكنه ومع الأسف كان...

- أيهم ... أخي لا ... لا تتركني وحيدة
- آنسة ندى أرجوك تمالكي نفسك
- آه ... هل ذهبت من وطنك إلى أجلك، أرجوكَ قِف على قدميك ... لا تفعل هذا بي
- آنسة ندى ستتضررين على هذه الحالة!

تابعت ندى بكائها ونحيبها إلى أن ... إلى أن سقطت على الأرض من دون حراك

- لقد فقدت الوعي ضعوها على الكرسي مجددا وانقلوها إلى غرفتها، يجب عليها ألا تحزن فستشتد حالتها

* * * * * * * * * * * * * * * *

استعادت ندى وعيها من جديد، نظرت حولها في توتر، فكّرت كيف كانت منذ أيام قليلة تجلس مع عائلتها وعلى رأسهم أخاها أيهم، كانت عبراتها ما تزال تهطل بغزارة على وجنتيها، إلى أن سألت المرضة من جديد:

- ما الذي حصل لأخي أيهم؟! وهل سيعيش؟!
- كان يجلس بالقرب من السائق أليس كذلك؟
- أجل
- مع الأسف ... عندما وجدناه كان لا يستطيع التنفس فأسعفناه سريعاً معكم طبعاً، ولقد تعرض لرضوض في كل أنحاء جسمه ولكسر ريشتين من قفصه الصدري، وهناك شيء آخر أيضا..
- وما هو قولي بسرعة؟
- كسر الزجاج الأمامي للسيارة بسبب شدة الحادث، فتعرض وجه أيهم لتشوهات بسبب تناثر الزجاج المكسور على وجهه
- وهل سيعيش؟
- أتمنى ذلك من كل قلبي، لكنني ومع الأسف لا أضمن هذا لكِ
- لقد حرق قلبي ... الله يشفيه

وعادت إلى البكاء من جديد

* * * * * * * * * * * * * * * *

لقد عاد أيهم تدريجيا إلى التنفس بشكل طبيعي، وعندما استقرت حالته قام الأطباء بإجراء عملية له من أجل لحم الكسر الذي حصل في قفصه الصدري، وقد استغرق أسبوع تقريبا

لتتحسن حالته ويستيقظ ويتمكن من التحدث لكن بشكل مقتضب لكيلا تسوء حالته، لكن ندى عندما علمت ببداية شفائه نسيت الكسور والرضوض التي تملأ جسمها وهمّت بسرعة للاطمئنان على أخيها....

- أيهم ... أخي الحبيب كيف حالك؟ هل أنت بخير الآن؟
- آه يا ندى ... الحمد لله لقد بدأت أتماثل للشفاء
- لقد كان فجأة ... لم أستطع إلى حد الآن أن أعي كيف حصل الحادث!
- أين فؤاد؟! هل ... هل تُوفِّي؟
- مع الأسف ... نعم

تجمعت العبرات في عينيه الكستنائيتين الجميلتين لكنّه أبى أن يطلق لها العنان ... فقال بهدوء:

- الله يرحمه
- ستجري المستشفى لك عمليات لتجميل وجهك مجانا
- ليسلموا جميعاً، هل أخبرتي والديّ؟
- لم أخبرهم أنا، فقد قام أحد الأطباء بإخبارهم وطمأنتهم لكنها كانت صدمة هائلة عليهم، فأرادوا أن يأتوا ليرونا لكنهم لم يتمكنوا بسبب الثلج الكثيف
- أعاننا وإياهم الله
- آمين

وقطع حديثهم دخول الأطباء مجدداً ليقوموا باصطحاب أيهم لإجراء أول عملية تجميل لوجهه....

7
تأقلُم

وبعد سنة من الحادث:

جلست ندى على الكرسي الذي يقع بجوار مكتبها الموجود في الشقة التي قامت بشرائها بمساعدة والديها، تناولت هاتفها المحمول لتعبث به قليلا إضاعةً للوقت، ومن ثم لمعت في ذهنها فكرة فبدأت تكتب رسالة لوالدها لتخبره بها عما استجد معها ومع أخيها أيهم:

مرحبا يا والدي كيف حالك؟ أتمنى من الله أن تكون بخير

توقفت قليلا عن الكتابة وكأنها شعرت بذنب ما، لكنها أبعدت كل الأفكار السلبية عن ذهنها لتستطرد برسالتها...

سامحني يا أبي العزيز فقد انشغلت عنكم كثيرا فكان عليّ أن اعتني بنفسي جيدا كي أشفى تماما من أعراض الحادث كما أنني كنت أشرف على رعاية المستشفى لأخي أيهم، و أشكرك على النقود التي حولتها لي فقد مكنتني من شراء شقة في منطقة من لبنان وتدعى " عرامون "، فبعد شفاء أخي أيهم وعيشه معي قليلا، تمكن من جمع أموال بوساطة عمله بالإضافة إلى المال الذي كان بحوزته وطبعا ببعض المساعدة منك وقام بشراء منزل يقع في العاصمة بيروت أي بعيدا عن منزلي، لكن لا بأس فلكلٍ منا حياته الخاصة، ومن الآن فصاعداً سأتولّى أموري بنفسي إن شاء الله وسأبدأ حياة جديدة من دون مساعدة أحد، سأحاول أن أجد عمل لي لكي أكسب رزقي وإن لم أتمكن من العيش هنا سأنتقل إلى بلد أخرى..... كما أنني بحاجة إلى دعائك أنت وأمي فلا تتركوني من دون دعاء، وأتمنى أن توصل سلامي إلى أمي العزيزة وحبيبتي وأختي أمل ... وإلى منزلنا أيضاً فكم أشعر بالحنين إليكم وإلى وطني وأرضي، لكنني سأتعايش مع الوضع وسأتغلب على الصعاب أيضاً فلا تقلقوا علي فأنا بخير...

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

قامت ندى بإرسال الرسالة لوالدها وهي تشعر بالرضا، ولم تنتظر كثيرا فقد قام والدها بدوره بإرسال رسالة لها يقول فيها:

وعليكم السلام ورحمة الله يا حبيبتي ندى، لا عليك فنحن نقدر وضعك جيداً ونعرف ظروفك أتم المعرفة، الحمد لله على سلامتكم فليحميكم الله بحماه ويرزقكم وييسر أموركم وليوفقكم أيضا، نحن ندعي لكم صباحاً ومساء ونرجو من الله أن يعطيكم ما تحبونه وتتمنوه، ولك الحرية الخالصة بأن تتولي أمور نفسك فقد أصبحت مسؤولة عن جميع أمورك، حافظي على الصلاة يا ابنتي وواظبي على قراءة القرآن وعلى الاستغفار ودعاء الله ولا تنسي صلاة الاستخارة، أوصل لك سلامي وسلام أمك وأختك أمل كما أن أمك حبذت أن تزوري عمتك أسماء فهي تعيش وحيدة مع ابنتها رغد فزوجها إبراهيم في رحلة عمل الآن أي ارج المنزل، كما أنهم يكنون لنا الحب والوفاء...

فليوفقك الله يا حبيبتي ... السلام عليكم

أعادت ندى قراءة الرسالة لأربع مرات وهي بغاية السعادة، فكانت بحاجة ماسّة إلى دعم والديها المعنوي ودعائهم لها، بالإضافة إلى أنها لم تكن تعلم أن عمتها أسماء تعيش في لبنان فتحمست كثيرا للفكرة وبعثت برسالة جديدة لوالدها لتسأله فيها عن موقع منزل عمتها أسماء...

* * * * * * * * * * * * * * * *

نزلت ندى من سيارة الأجرة لتمشي بضع خطوات باتجاه منزل عمتها وعندما وصلت وقفت تتأمل البناء ... فكان بناء ضخم وفخم مؤلف من عشر طوابق وكانت عمتها تعيش في الطابق العاشر فأحسّت ندى بمتعة ركوب المصعد، وعندما وصلت إلى المنزل ضغطت على الجرس فتعالى صوت عمتها لتستفسر عن الذي طرق الباب:

- من الطارق؟
- أنا ندى يا عمتي، افتحي لي الباب من فضلكِ

فهمّت بسرعة لتفتح الباب وتبدأ بالزغاريد العذبة ومن ثم لتخاطب ندى:

- أهلا بك يا ندى ... الغالية ابنة الغوالي، لقد شرّفتِ بيتنا
- شكراً لك يا عمتي الحبيبة
- لقد أعلمني أبوك محمد بقدومك فحضرت كل شيء على أكمل وجه
- فليسلم المنزل وأصحابه
- هل ستظلين واقفة على الباب؟ هيا تفضلي فالبيت بيتكِ

أسماء ... عمة ندى

مقاتلة من عتق التاريخ، خاضت الكثير من الصعوبات والمشاكل في هذه الدنيا وخرجت منتصرة من جميعها، شعرت ندى بكمٍّ هائل من السعادة والفرح بسبب استقبال عمتها وابنتها رغد لها وترحيبهم بها، كما أنها استعادت معهم أجمل الذكريات، لكن ومع الأسف لم تدم الفرحة لوقت طويل فقد حدث شيء دمّر الجو السعيد الذي حاولت أسماء جاهدةً صنعه لإسعادها.....

8

لماذا؟!

بعد انتهاء ندى من احتساء القهوة اللذيذة التي صنعتها عمتها بالإضافة إلى تناول بضع لقيمات من الحلوى النفيسة قامت مع ابنة عمتها رغد التي أصبحت صديقة لها في وقت قصير بالذهاب إلى غرفتها ليبدأن بمطالعة الصور القديمة والاستمتاع بمشاهدتها....

- انظري يا ندى هذه الصورة عندما كنّا جميعا في اللاذقية
- سقا الله تلك الأيام، كم كانت جميلة!
- وهذه الصورة في بيتكم الواقع في الشام وفي صباح أول يوم من العيد
- نعم تقصدين جلسة العيد أليس كذلك؟
- نعم ... نعم جلسة العيد، وهذه في الحديقة العامة الواقعة بالقرب من منزلكم

قالتها وكانت ابتسامتها تغطي وجهها فبادلتها ندى الابتسامة، لكن فجأة تحوّلت تعابير وجههم السعيدة إلى تعابير مليئة بالرعب والهلع، فكانوا قد سمعوا صوتاً صاخباً جداً من الخارج...

- ما هذا الصوت؟!
- لا أدري

جلست ندى على المكتب الموجود في غرفة رغد فلحقتها رغد لتجلس بالقرب منها وكان التوتر بادياً عليهما وحتى أسماء ركضت مسرعة إلى الغرفة لتعرف ما الذي يحصل، فغرفة رغد هي الغرفة الوحيدة التي يوجد فيها نافذة كما أن منزلهم يقع في الطابق العاشر أي أنه يطل على الكثير من الأماكن فتمكنوا سريعا من إيجاد مكان الحريق، فصرخت ندى بدورها:

- أيعقل أنه؟!

- أنه ماذا؟

فقالت وهي تشير بإصبعها إلى مكان الحريق:

- هنا يوجد منزلي ... في هذه المنطقة تماماً ... أيعقل أن الحريق ... لا لا مستحيل مؤكد أنه بعيد عنه، أليس كذلك؟
- أتمنى هذا من كل قلبي، سأرى على الفيسبوك فربما يكون أحدهم قد نشر شيئاً عن الحريق

قالتها ومن ثم جلست على سريرها لتبدأ البحث وعينيّ ندى معلقة فيها وهي تأمل ألّا يكن قد مسّ منزلها أي مكروه

- امممم ... ها قد وجدت بعض الصور للحريق وقد ذكروا أنه واقع في منزل في منطقة تدعى عرامون
- عرامون؟! فلتريني الصور من فضلك
- حسناً ... ها هي فلتريها بنفسك

وعندما رأت ندى الصور كتمت صيحتها، وبدأت عبراتها تسيل على وجنتيها في حزن وأسى...

- هذا أمر لا يصدق!!!
- ماذا هناك يا ابنتي؟! ولماذا تبكين؟!
- لماذا أبكي؟! لقد احترق بيتي يا عمّتي!!

وبعدما قالت هذه الجملة انفجرت بالبكاء وكانت عمتها وابنتها واقفين بالقرب منها يطالعون الحريق من النافذة مباشرة وما تزال الصدمة سالبة لعقولهم، لكنهم تمالكوا نفسهم فبدأت رغد بمواساتها بقولها:

- أرجوكِ يا ندى تمالكي نفسك ولا تحزني ... اصبري يا حبيبتي اصبري فالصبر مفتاح أبواب الفرج

- أبواب فرج؟! أولا الحادث المخيف الذي حصل لنا ومن ثم احتراق المنزل أي فرج هذا الذي تتحدثين عنه؟!
- كفى يا ابنتي تفاءلي بالخير تجديه، أرجوكِ لا ترهقي نفسك لقد حدث ما حدث ولن ينفعك البكاء يا صغيرتي

وبدأت أسماء تمسح على شعر ندى الأشقر وتردد بعض الآيات القرآنية فلربما تهدأ ... لكن ندى ابتعدت عن عمتها وجلست على المكتب الخاص برغد لترى الحريق وقلبها يحترق فكانوا رجال الإطفاء قد تأخروا والبيت يحترق أمام عينيها الحزينتين...

- لماذا؟! لماذا يحصل هذا لي؟ لماذا يقوم الله بامتحاني بالكثير من الأمور الصعبة؟، واللهِ لم أفعل شيئاً لأحد فأنا دائما أكفي الناس شري، يا رب ساعدني يا الله
- كفى يا ابنتي ... فلتهدئي
- أنا ... أنا...

ولم تستطع ندى إكمال جملتها فمن شدة الحزن أغمي عليها مرة أخرى، فقامت رغد مع أمها بنقلها ووضعها على السرير وهم يشعرون بحزن شديد نحوها لكن ليس باليد حيلة فهذا تقدير الله تعالى وليس باستطاعة أي أحد تغييره....

9

سبب منطقي

- أين أنت يا ندى؟ تعالي بسرعة
- ماذا هناك؟ قولي لي
- لقد قامت الشرطة الجنائية بفحص مكان الحريق ... أي منزلك والمكان المحيط به
- نعم ... وماذا حصل؟
- لقد عرفوا سبب الحريق
- هيا قولي بسرعة لقد نفذ صبري
- ألا تذكرين الصوت الذي سمعناه قبل اندلاع النار بقليل؟
- نعم أذكر وماذا بالموضوع؟
- لقد انفجرت عبوة غاز كبيرة في المحل الذي قرب محطة الوقود " ابن البلد "، مما أدى لاحتراق بنائك وأبنية أخرى ومع الأسف سقوط بعض الضحايا وعدد كبير من الجرحى

وضعت ندى يدها على فاها لتكتم شهقتها العالية ثم قالت بصوت مخنوق:

- ليته لم يحدث هذا!
- كيف تفكرين بهذه السطحيّة يا ندى؟؟ تقولين هذا بدل أن تشكري الله وتحمديه على سلامتك!
- الحمد والشكر لله ... الحمد والشكر لله!

- أرجوك إنسي الموضوع الآن، ستعيشين عندنا الآن
- نعم سأفعل ... لكن يجب أن أجد لي عملاً فهكذا أكون قد ضربت عصفورين بحجر واحد
- وماذا ستعملين؟؟ العمل في لبنان ضئيل جدا
- سأجد شيئاً يطلبه الكثير من الناس
- وما هو؟
- سأبيع البضاعة إلكترونياً مثل الإكسسوار ... مستحضرات التجميل ... الحُلي والكثير من الأمور التي تعجب الفتيات والنساء
- فكرة رائعة ما رأيك أن أشترك معك
- تشتركين معي؟! امممم ولم لا هيا على بركة الله
- هل سننشر على الفيسبوك والواتس أب أيضا؟
- وعلى الانستغرام أيضا
- هيا بنا إذاً

* * * * * * * * * * * * * * *

عاشت ندى حياة سعيدة مع عمتها وابنتها إلى أن رجع زوج عمتها من رحلة عمله فلم تعد قادرة على العيش معهم كيلا يحرج أحدٌ من الطرفين، وفي ليلة هادئة وكان القمر فيها بدراً...

- عزيزتي رغد أنا لم أعد أشعر بالراحة هنا أريد أن أسافر لعلي أنسى همومي وأستقّر
- تسافرين مجدداً؟ وإلى أين؟
- إلى تركيا ... بحراً
- أنا لا أستطيع أن أجبرك بشيء لكن هل سيسافر أيهم معك
- لا ... سأخبره وأخبر والديّ عندما أستقر هناك
- لكيلا يرفضون أليس كذلك؟

- نعم ... سأقوم غدا بتحديد موعد سفري إلى تركيا فتكلفة السفر أرخص من تكلفة شراء المنزل....

الفصل الثالث
- للمرة الثانية -

10

رحلة شائقة في البحر العميق

كل شيء جاهز في المؤخرة....

كل شيء جاهز في المقدمة....

إلى الوراء ببطء....

إلى الأمام ببطء شديد....

إلى اليسار....

بهذه الكلمات التي تتكرر آلاف المرّات كل يوم وفي جميع موانئ العالم، سواء كانت السفينة كبيرة أو صغيرة ... عابرة محيط عملاقة أم زورقاً باخرياً صغيراً، فإنها تفك رباطها وتغادر الميناء وتتجه إلى عرض البحر فهي في أيدي طاقمها الذي سوف يتولى قيادتها أياماً أو أسابيع حتى يصل بها إلى ميناء الوصول....

وكانت ندى على ظهر هذه السفينة متمنية من الله أن تكون رحلتها ميسرة وسهلة عليها، لتبدأ السفينة بالإبحار....

* * * * * * * * * * * * * * * *

كان قائد السفينة واقفاً على سطحها وهو يلقي بنفسه الأوامر الخاصة بمناورة الابتعاد في اللحظة التي يتعين فيها أن تنفصل السفينة عن الرصيف، ونزولا على أوامره التي ينقلها تلغراف المناورة في السفينة بالغة الطول يقوم الرجال بسحب الحبال الغليظة التي تثبت السفينة في دعامات الربط الحديدية الواقعة على الرصيف، وبعدها يقوم القائد بإعطاء أوامره إلى الآلات عن طريق مبرقة خاصة، وكان جميع العاملين في السفينة يقومون بالعمل في دورات

أي بالتناوب وحتى قائد السفينة فكان يخلد بين الحين والآخر إلى الراحة إلا أن نائبه في هذه الحالة يظل على ظهرها فضلاً عن ضابط الحراسة....

وعند الفجر قام النائب بتسجيل نقطة السير على الخريطة كما أنه حدد مدى خروج السفينة عن طريق سيرها إلى أن أتى القائد...

- صباح الخير
- صباح النور أيها القائد
- هل فعلت كل ما يتوجب عليك؟
- نعم سيدي
- .....
- .....

كان القائد قليل الكلام فلم يطل الحديث مع نائبه بل اكتفى ببعض الأسئلة، ومن ثم تابع عمله فقام بمراجعة أجهزة السرعة وعدد الأميال التي تم قطعها، ثم اتصل بغرفة الآلات ليتأكد من صحة الأرقام، وبعدها قام بمراجعة خرائط التيارات البحرية وراقب قوة الرياح على الجهاز الخاص بذلك فهو دائماً يدخل هذه القوة في حسابه....

* * * * * * * * * * * * * * *

تقدمت مضيفة السفينة بخطوات رزينة ومدروسة نحو بطلتنا ندى لتقوم بسؤالها بلغة إنكليزية وبأسوب راقٍ:

- ما نوع الوجبة التي تودين تناولها يا سيدتي؟

التفتت ندى نحوها لتبتسم وتقول:

- قريدس مشوي من فضلك
- حسناً سيتم إحضار وجبتك خلال دقائق وجيزة
- شكراً لكِ

ولم تنتظر لوقت طويل حتى أحضر لها الطعام بطريقة لبقة بالفعل وكان مذاقه لذيذاً جداً ! !

* * * * * * * * * * * * * * * *

كان على سطح السفينة أناس عدة، فأولهم قائد السفينة مع نائبه المطيع، ثم بعض الضباط بالإضافة إلى ضابط الأبحار ورَجُل السفينة ومعاونو اللاسلكي وأخيراً العمال التنفيذيون... وكانت رحلة ممتعة حقاً فقيادة السفينة أمر دقيق لكنه شيق بالفعل فحتى المسافرون ومن بينهم ندى كانوا يشعرون بالسعادة حقا فتعتبر تركيا وكما يصفها الكثير من الناس " موطن الأحلام ".

* * * * * * * * * * * * * * * *

والآن فإن الميناء على مرمى البصر وها هو عامل الدفة وراء عجلته يستمع إلى الأوامر المقتضبة من ربان السفينة وينفذها على الفور، وفي غرفة الآلات يدوي ناقوس وينتقل العقرب إلى كلمة (نصف) ثم إلى كلمة (بطيء) ثم يمرق الطرف الأقصى من الرصيف ومعه الفنار إلى جانب السفينة المتهادية، ويصدر الربان آخر تعليماته (انتهى — قف) وعند ذلك يتوقف أزيز المراوح بعد أن دارت ملايين المرات، ومرة أخرى إذا بالسفينة داخل الميناء ولكنه ليس أي ميناء بل إنه ميناء تركيا موطن أحلام ندى!...

11

ندى في بلاد العجائب

حطّت السفينة داخل ميناء " كوناك " الواقع في أزمير، وعندما نزلت ندى من السفينة استنشقت هواء تركيا النقي ومن ثم فتحت جوالها المحمول فكانت قد جمعت بعض المعلومات عن الميناء فهي تعتبر غريبة ولا تعي الكثير عن المنطقة، فقرأت: توجد حديقة أو منتزه أزمير على بعد 6 كم من الميناء، بالإضافة إلى برج الساعة المميز، كما يوجد مطاعم ممتدة على طول الكورنيش والمقاهي البسيطة أيضا...

فقامت ندى بجولة في منتزه أزمير وكان جميلا للغاية ومن ثم شاهدت برج الساعة والتقطت له الكثير من الصور الرائعة حقا، وعند انتهاء جولتها دخلت إلى أحد المطاعم وطلبت وجبة من الأسماك الطازجة فقُدّمت لها لوجبة سريعاً وعندما همّت لتناولها فجأة ... وُضِعت يد غريبة على عينيها وأتى صوت يبدو مألوف بالنسبة لها يخاطبها بلهجة تركية ممزوجة بالعربية:

- احزري من أنا؟
- لا ... لا أعرف

ومن ثم قامت من كرسيها مسرعة للتعرف على وجه الشخص المزعج فكانت المفاجأة... جيهان؟!

- نعم جيهان بشحمها ولحمها...
- و ... وكيف أتيت إلى هنا؟!
- ألا تعرفين أني أعمل في هذا المطعم ... كما أنني لم أغادر تركيا منذ أن افترقنا
- آه ... كم اشتقت لك

ثم تعانقتا عناقا شديدا ... فاستطردت جيهان:

- امممم ... تسافرين إلى تركيا دون أن تخبريني وأيضا دون إخبار أهلك
- ومن أين عرفتي هذا؟!
- لقد قالت لي العصفورة
- جيهان ... كفاك عبثا معي قولي لي كيف علمتي؟
- لقد أخبرتني رغد
- رغد؟! تلك اللئيمة مع أنني قمت بتحذيرها من أجل عدم إخبار أحد
- ليست ابنة عمتك فقط بل هي صديقتي أيضا ... ومن واجب الصديق على الصديق المساعدة
- مساعدة ... حسنا دعك منها الآن أين سأستقر؟!
- عندي ريثما نأمن لك منزلا
- حسناً

قامت جيهان باصطحاب ندى إلى منزلها وعندما وصلوا وارتاحوا قليلا بدأت جيهان بالحديث:

- هل قرأت يوماً ما قصة " أليس في بلاد العجائب "؟
- نعم قرأتها ... منذ أن كنت في سن الخامسة عشر
- وهل تتذكرين أحداثها.
- لا أظن ذلك
- حسنا لا بأس، سأدعك غداً تبدئين بعيش أحداث القصة تقريبا، ولكنني سأغير تسميتها ولتكن " ندى في بلاد العجائب "
- ماذا؟! كفى سخرية مني
- أنا لا أسخر ... أنا أقول الحقيقة

- لم أفهم
- حسنا سأجعلك تفهمين

ومن ثم تناولت ورقة وقلم لتخط عليها بعض الكلمات التي بدا معظمها مبهما بالنسبة إلى ندى:

أنقرة، إسطنبول، أنطاليا، طرابزون، أزمير، بورصة، أضنة، بودروم، أوزنجول، سبانجا، سامسون، ريزا، بولو، مرسين، فتحية، مرمريس

وبعد انتهائها من الكتابة قامت بتقسيم الورقة فأصبح كل جزء منها يحوي اسما لمنطقة، ومن ثم قامت بطيّهن وببعثرتهن على الطاولة أمام ندى وهي تقول:

- اختاري ثمانية أوراق ... هيا

نظرت إليها ندى وقد رُسمت على وجهها ابتسامة بلهاء ثم سحبت الأوراق وبدأت تقرأ ما كتب عليها بصوت مسموع:

- إسطنبول، أنقرة، أوزنجول، بولو، سامسون، مرمريس، طرابزون، بورصة...
- هذا رائع!! إذا سنبدأ غدا
- نبدأ بماذا؟!
- بجولة سياحية لهذه الأماكن
- حقاً ... سأزور مدينة أحلامي
- اذهبي الآن وارتاحي لأننا سنستغرق ثمان أيام في جولتنا السياحية فكل يوم سنزور منطقة
- لكن لحظة..
- ما بك؟
- أنا ليس لدي نقود لأبذرها ... فلدي أمور أهم من السياحة

قامت جيهان بوكز ندى على كتفها بخفة وهي تقول:

- هل تقولين هذا لي؟! من قال إنكِ ستذهبين على حسابكِ؟
- ماذا تعنين؟
- جولتك في بلاد العجائب ستكون على حسابي ... هيا قومي وارتاحي وإياكِ أن تقولي هذا ثانيةً
- رائع!! حسناً سأفعل

* * * * * * * * * * * * * * * *

وفي الصباح عند الساعة العاشرة والنصف استيقظتا الصديقتان لتبدأ رحلتهما في أراضي تركيا الواسعة أو في بلاد العجائب كما نعتتها جيهان...

أيتها الكسولة ... استيقظي لتبدأ رحلتك في بلاد العجائب

فتحت ندى عينيها على صوت صديقتها وهي تشدها وتوقظها بصوت عالٍ...

- آه ... صباح الخير
- صباح النور عزيزتي ندى ... هيا قومي

قامت ندى فسرّحت شعرها وغسلت وجهها ونظّفت أسنانها جيدا وبعدها ذهبت إلى عند جيهان...

- حسناً ... ومتى سنذهب
- حالاً ... خذي هذا والبسيه وبعدها نذهب
- وما هذا؟!
- افتحي الكيس لتريه

فتحت ندى الكيس فرأت بداخله ملابس فأخرجتهم لترى بنطال جينز قاتم عريض ومعه كنزة صفراء جميلة...

- ولم تعطيني أنت هذا ... لدي الكثير من الفساتين سألبس إحداهن
- كلا لن تفعلي

- ولم؟
- لقد خصصت لك ثمانية أنواع من الثياب على حسب المناطق التي سنزورها
- لم أفهم
- حسنا ... كل منطقة تمتاز بمناخ معين وعادات وتقاليد معينة لهذا السبب سنرتدي ملابسنا وفق ذلك
- امممم ... الآن فهمت، وإلى أين سنذهب اليوم؟
- سنذهب اليوم إلى أوزنجول
- حسناً سأرتدي ملابسي على الفور

ارتدت ندى ملابسها وقامت بربط شعرها بما يعرف " بذيل الحصان " ومن ثم ذهبت إلى عند جيهان وعند انتهائهما من كل شيء خرجتا وركبتا في السيارة لتبدأ جولة اليوم....

* * * * * * * * * * * * * * * * *

- أخبريني قليلا عن أوزنجول من فضلك
- حسناً سأفعل

فقالت ندى بصوت عال مليء بالحماس:

- هذا راااائع ! !
- إنها قرية تتمتع بطبيعة ريفية خلابة ما بين خضرة النباتات والمراعي الجبلية والبحيرات الصافية، ونستطيع أن نمارس فيها عدة نشاطات مميزة كما أنها واحدة من أجمل وجهات السياحة في تركيا...

كانت ندى تنظر إلى صديقتها جيهان نظرة إعجاب فهي تتمتع بجمال تركي خلّاب فمن شعر أسود حالك إلى عينان رماديتان كبيرتان، كما أنها تمتلك بشرة بيضاء ناصعة لا مثيل لها.....

كان هذا وصف ندى لها، ولكن عندما انتبهت جيهان إلى نظرات صديقتها بادرتها فجأة:

- ندى ... هل أشرح لنفسي؟! ما بك مشغولة هاه؟!

انتبهت ندى لكلام صديقتها الذي أيقظها من أفكارها فقالت مسرعة:

- آه ... أنا آسفة حقاً، كنت أنظر إلى جمالك ... سبحان الخالق!
- ندى ... ويحك ألم تنتبهي إلى شرحي؟!
- بلى ... بلى
- وماذا قلت؟! أتحفينا
- امممم ... تتمتع أوزنجول بطبيعة ريفية
- وهل هذا كل ما قلته؟
- لا أظن لكن هذا ما تذكرته
- آه لم تتغيري ... ما زلت قليلة الانتباه والإصغاء
- سامحيني
- لا عليك ... ها قد وصلنا

* * * * * * * * * * * * * * * *

- أوه ... يا لها من بحيرة جميلة!!
- نعم ... إنها بحيرة أوزنجول
- حقاً إنها منطقة جيدة جدا للهدوء والاستجمام
- أوافقك الرأي ... انظري إنها تكتسب خضرتها من خضرة أشجار الصنوبر التي تكسو المرتفعات المحيطة بها
- نعم ... هذا جميل!!

وبعد مشاهدتها جلستا بالقرب منها وكانتا قد أخذتا طعام الفطور معهن فوضعتا بساط نظيف ورتبتا الطعام المعلب عليه وهما تستمتعان بجمال الطبيعة الساحرة...

- الحمد لله ... وإلى أين الآن؟

- إلى قرية الشاي أو ما تعرف باسم " كاريكارا "
- وهل بإمكاننا احتساء الشاي هناك؟
- بالطبع ... فاسمها قرية الشاي
- هيا إذا ... على بركة الله
- ركبن السيارة من جديد فقالت ندى:
- هل هي بعيدة؟!
- 20 كم تقريبا

كانت كاريكارا تتمتع بمناظر طبيعية خلابة أشهرها الشلالات التي تتدفق من بين صخور الجبال في منظر مهيب، وكانت فعلاً مشهورة في تقديم أفضل نكهة مميزة للشاي التركي الأصيل، وعند انتهاء الفتاتين من احتساء الشاي توجهتا إلى المكان الأخير الذي ستقومان بزيارته في هذا اليوم من أجل رحلة سفاري هناك...

- حسنا وما الذي سنفعله هنا؟
- سنبدأ برحلة سفاري ... فأنا من هواة رحلات السفاري!!

قامت ندى وصديقتها جيهان بالتخييم ومن ثم بالتجوال على الأقدام في المسارات والوديان التي تتخلل مناطق ما بين الجبال والهضاب في أوزنجول، وبعدها تسلقتا أحد جبالها الخضراء الوعرة لكنه لم يكن ذو ارتفاع شاهق بل كان جبل صغير أشبه بتلة، وبعد التجوال والتسلق والنشاطات الأخرى أحستا بالجوع الشديد فسألت ندى:

- أنا أشعر بالجوع متى سنتناول طعام الغداء؟
- وأنا أيضاً ... تعالي معي
- إلى أين؟
- إلى وادي " هالديزين "
- وماذا سنفعل هناك؟

- سنصطاد السمك سويا
- حسنا ... ولم لا

كانت بحيرة السمك تتوسط الوادي، فحالفهن الحظ فصادتا أفضل أنواع الأسماك الطازجة ومن بينها سمك السلمون المرقط...

- هيا الآن ... سنذهب إلى الخيمة من أجل شي السمك
- نعم ... هيا بنا

عادت ندى مع جيهان إلى نقطة البداية في رحلة السفاري وهي خيمتهما المتواضعة، فقمامتا بشواء السمك ومن ثم تناولتاه قرب النار التي أشعلتاها...

- وهل سننام هنا؟
- بالطبع ... وهذا أجمل شيء في رحلة السفاري
- لكنني أهاب النوم في الطبيعة ... وفي بلد غريب أيضاً
- ليس إن كانت جيهان معك
- كما تشائين ... لكنني لا أعدك أن أنام
- حاولي ... ستقدرين فأنت أختي الشجاعة!
- أختي؟!

عندما سمعت ندى هذه الكلمة اغرورقت عينيها الجميلتين بالدموع منذرة بالانهمار...

- ما بك؟! هل قلت شيئاً يزعجك؟؟
- كلا ... كلا لكنني تذكرت أختي أمل، فكم أشعر بالحنين لها
- معك حق فالأخت دوماً هي جمال الحياة وشقاوتها
- دعك مني الآن هيا بنا لندخل إلى الخيمة
- هيا

كانت ندى تحمل دفتر يومياتها معها أينما ذهبت، ولذلك أخرجته من حقيبة يدها وبدأت تكتب فيه:

لقد كانت جولتي مع صديقة طفولتي جيهان في أوزنجول جولة رائعة حقاً، فلقد استمتعت في تناول طعام الفطور بالقرب من بحيرة أوزنجول، ثم بشرب الشاي في قرية الشاي، وأخيرا برحلة السفاري، وأنا الآن ولأول مرّة أنام خارج المنزل فصحيح أني سافرت إلى عدة أماكن وكان أولها لبنان والآن تركيا لكني لم أنم مطلقا في خيمة بالطبيعة الساحرة، وهذا شيء جميل جداً لكنه يشعرني بالخوف بعض الشيء لكن لا بأس فسأجتاز هذا مع عزيزتي جيهان، بالإضافة إلى أنني أشعر بالشوق والحنين إلى أختي الغالية والحبيبة أمل فهل سنلتقي يوما ما؟! أرجو من الله أن نلتقي على خير، والآن سأحاول أن أنام في خيمتي الجميلة...

- ندى ... أما زلت مستيقظة؟
- كنت أكتب ما حصل معي اليوم ... والآن سأنام تصبحين على خير
- وأنت من أهل الخير

استطاعت ندى النوم في الخيمة وفي الصباح رجعت إلى المنزل مع جيهان...

* * * * * * * * * * * * * * * *

- الحمد لله ... لقد كانت جولتنا في أوزنجول رائعة بالفعل!
- نعم ... وهل استطعت النوم أخيرا؟
- نعم استطعت فأنا معك
- ابتسمت جيهان ابتسامة عذبة وهي تقول:
- أنا جدُّ آسفة يا ندى
- ولم تعتذرين ... فأنت لم تفعلي معي إلا الخير

- نعم أدري ... لكنني قبلت في عمل جديد وسأبدأ من الغد، لذلك لم أعد قادرة على إكمال جولتك في بلاد العجائب وسنكتفي بأنقرة اليوم وبهذا تكونين قد زرت أوزنجول وأنقرة
- لا عليك ... المهم أنني رأيتك
- حسنا دعينا الآن نتناول طعام الفطور وبعدها نذهب
- على بركة الله

وبينما كانت ندى تتناول طعام الفطور مع جيهان، لم تنتظر جيهان ندى لتسألها عن أنقرة بل قالت لها فوراً وهي تضع اللقمة في فمها:

- حسنا سأخبرك بعض المعلومات عن أنقرة فما رأيك؟
- تبدو لي فكرة جيدة!
- امممم .... باعتبار أنقرة العاصمة التركية فلا بد أن تحتل نصيب الأسد، فهي من أهم مقاصد السياحة الأثرية والتاريخية، لذا ستجديها غنية بالتحف المعمارية الأثرية والمعارض الفنية، إلى جانب تفرّدها بإنتاج أشهى مأكولات المطبخ التركي كالكباب والبقلاوة وغيرها من الحلويات التركية الشهيرة .... فما رأيك؟!
- هذا جميل جداً!!
- أتوقع أنها ستعجبك ... هيا الآن خذي هذا الكيس لتخرجي منه ملابس اليوم
- حسنا أعطني إياه
- تفضلي ... آه تذكرت شيئا
- وما هو؟!
- أود أن أعطيك الملابس التي خصصتها لكل جولة وهكذا إن زرت أحد الأماكن لوحدك ترتدين النوع المخصص لها
- شكرا لك ... وما النوع المخصص لجولتنا اليوم؟

فتحت ندى الكيس مسرعة فرأت فيه فستان نيلي طويل ضيق من الأعلى وعريض من الأسفل ويوجد له زنار فضي برّاق

- آه ... هذا ممتاز! !
- هل أعجبك؟
- كثيرا ... أشكرك!

* * * * * * * * * * * * * * * *

- أين نحن الآن؟
- نحن عند قلعة أنقرة ... وهي أحد أقدم وأعظم حصونها، يعود تاريخها إلى حقبة الحكم الروماني ثم العهد العثماني وكذلك عهد السلاجقة الأتراك...
- إنها مثيرة للاهتمام .... كما أنك موسوعة معلومات
- خبرة عمر ... فأنا أعيش في تركيا منذ كان عمري 13 سنة، فكما تعرفين ذهبت مع والديّ وبعد سبع سنوات قرروا النزول إلى سوريا وأنا بقيت هنا..
- نعم أذكر هذا جيدا

وبعد انتهائهما من التجوال داخل القلعة العظيمة بدأوا جولة جديدة في الحي القديم حيث المنازل الخشبية التي لا زالت تتحلى بالطراز المعماري العثماني، كما أنهما قامتا بشراء بعض الحرف والمصنوعات اليدوية كهدايا تذكارية فالمدينة تشتهر بمثل هذه الأشياء....

- أظن أنه حان الآن موعد أذان الظهر أليس كذلك؟
- دعيني أرى في الهاتف ... آه بقي عشر دقائق للأذان
- حسنا ما رأيك أن نصلي صلاة الظهر في المسجد الأخضر؟
- المسجد الأخضر؟!
- نعم هذا اسمه ... ويطلق عليه أيضا اسم " يشيل كامي "
- نعم ... هيا بنا

وعند وصولهما إلى الجامع الأخضر كان الأذان قد بدأ....

- أشهد أن لا إله إلا الله
- وأشهد أن محمدا عبده ورسوله
- هل رأيت النقوش والزخارف الدينية التي تكسو الجامع من الخارج؟
- نعم رأيتها ... إنه عائد لعهد السلاجقة خلال القرن الخامس عشر، كما يضم أيضا الضريح الأخضر الذي دفن فيه صاحب الجامع " السلطان محمد الأول "
- هيا لقد أقيمت الصلاة
- هيا لنصلي

أقيمت الصلاة فهرع الجميع لأدائها جماعة، بعد انتهائهم خرجت جيهان برفقة ندى وركبتا السيارة معا...

- هل انتهت جولتنا؟
- بالطبع لا ... فما زال هناك الكثير
- أمر جيد

ذهبتا إلى متحف الحضارات الأناضولية فهو واحد من أهم الأماكن السياحية في تركيا لكل من يرغب بمعرفة تاريخ البلد، وبعدها إلى متحف الفن الحديث " سير مودرن " ويتضمن لوحات ومنحوتات الفنانين المحليين والعالميين بالإضافة إلى أنه ينظم عشرات من ورش العمل والفعاليات الثقافية والفنية، وأخيرا قامتا بزيارة مسجد " كوكاتيب " لأداء صلاة العصر جماعة وللحديث عن مسجد كوكاتيب فهو أكبر مسجد في أنقرة على الطراز العثماني بل ومن أكبر مساجد العالم، ويشتهر بمآذنه العالية البارزة التي ترى من أي مكان في قلب أنقرة...

وبعد انتهاء جولة اليوم ذهبتا إلى المنزل لتنشغل كل واحدة بشيء يهمها....

12
رسائل عِتاب

استيقظت ندى على صوت رنين هاتفها المحمول، دعكت عينيها بتقاعس ومن ثم أخذته لترى أنه تم إرسال ثلاث رسائل إليها، فقالت بصوت رزين:

- ثلاث رسائل في مرة واحدة ... لم أعتد على هذا!

ففتحت أول رسالة وكانت مُرسَلة من أمها لتبدأ بقراءتها:

ندى ابنتي الكبيرة ... لم أعتدك هكذا هل منعتك الغربة من الحديث مع أهلك؟! لم أطلب منك الكثير فقط طلبت أن أطمئن عليك وعلى أمورك فلماذا لا تودين أن تفعلي هذا؟ ندى اسمعيني جيدا سأقول لك كلمتين وأود منك أن تضعيهما كالأقراط في أذنيك: ليس هناك أحد غيرنا يبادلك الحب غير المشروط فمهما كثرت أصدقاؤك ومعارفك أنا متأكدة أن لهم مصلحة معك فسيصاحبونك لفترة معينة وسيتخلون عنك عندما تنتهي مصالحهم معك ....

ندى ... أنا لا أحب أن يثقل قلبي عليك أرجوك لا تدعي هذا يحدث، فقد بدأت أشعر بالاستياء منك السلام عليكم

وبعدما أتمت قراءتها لم ترد على أمها بل اكتفت بحذف الرسالة لتنتقل إلى الرسالة الثانية وكانت من والدها:

كيف حالك يا ندى ... لماذا لم تقومي بإخبارنا أنك ستسافرين؟ صحيح أني قلت إنه بإمكانك أن تتحملي مسؤولية نفسك لكننا قلقنا عليك كثيرا، لقد اتصلت برقم منزلك الذي في لبنان كثيرا وكان الخط

معطل وبعدها اتصلت بمنزل عمتك أسماء فأجابت رغد وقالت إنك سافرت إلى تركيا بمفردك ولم تود إخبارنا لكيلا نمنعك، أنا لا أمنعك لكنني أخاف وأقلق عليك فأنت ابنتي الغالية ... دمت سالمة

قرأت الرسالة الثانية ومن ثم حذفتها أيضاً ... وبعد القليل من التفكير أرسلت رسالة مشتركة إلى والديها تنص فيها:

أرجو منكم أن تتركوني وشأني ... فأنا أعرف الأفضل بالنسبة إلي

* * * * * * * * * * * * * * * *

دخلت جيهان مسرعة إلى غرفة ندى دون إشهار أو طرق للباب فهمّت ندى بإغلاق حاسبها لكيلا ترى جيهان رسالتها الأخيرة...

- ما بك ... هل أفزعتك؟!
- لا ... ليس هناك شيء يدعو للاهتمام أظن أنني فزعت قليلا
- امممم ... على أي حال وددت أن أخبرك أنني سأذهب إلى العمل الآن ولا داعي لطهي الطعام فسأجلب معي وجبتين من الشاورما التركية
- حسنا ... رافقتك السلامة
- إلى اللقاء

ومن ثم أغلقت الباب ... وبعد تأكد ندى من انصراف صديقتها أخرجت هاتفها المحمول لتتصل بأختها أمل...

يرن .... يرن .... يرن

- أوه ... مرحبا كيف حالك يا أمل؟!

ردت عليها أمل ببرود شديد فكان صوتها خال من أي مشاعر:

- أنا بخير

كان جوابها المقتضب متوقع فندى لم تتكلم معها منذ أن سافرت إلى لبنان، ولكن ندى تجاهلت برودها لتقول بشيء من الحماس:

- صحيح ... كنت أود إخبارك أنني التقيت بصديقة طفولتي جيهان في تركيا وقامت بترتيب جولة سياحية لتطلعني على البلاد، وسأرسل لك الصور التي التقطتها إن أردت
- لا شكرا لا أريد ... " أشخاص تتسلى وأشخاص تتقلى " أنت تمارسين جولات سياحية في تركيا بينما نحن قلقين بشأنك
- أمل أرجوك اسمعيني قليلا ... أنا فقط.
- كفى ... أنت فقط ماذا؟! اذهبي يا أختي اذهبي لتكملي جولاتك السياحية ومتعتك لا أريد أن أعكر صفوك
- لكن يا أمل...
- إلى اللقاء

قامت أمل بإقفال الخط في وجه أختها ... وبعد هذا بدأت ندى بنوبة بكاء هيستيرية بسبب حزنها الشديد فكانت أمل هي آخر شخص تتوقع منه هذا الكلام الجارح...

* * * * * * * * * * * * * * * *

دخلت جيهان إلى المنزل والبسمة تعلو وجهها وهي تقول:

- أين أنت يا ندى ... تعالي لتتذوقي الشاورما التركية فهي أطيب بمئة مرة من شاورما "أبو العبد" الموجودة في دمشق

لكنها لم تسمع أي رد، فدهشت بالهدوء الذي يعم المنزل فندى دائما لها جوها الخاص في البيت...

- يا ندى ... هل أنت هنا؟

قالتها وهي تقتحم غرفة ندى من دون إذن مرة أخرى، وعندما دخلت رأت ندى بمنظر لم تره من قبل وإليكم الوصف، كان شعرها مبعثر على كتفيها بطريقة غير منظمة وهذا على

غير العادة، كما أنها فقدت جمال عينيها من كثرة البكاء فأصبح لونهم أحمر كلون الدم، بالإضافة إلى أنها ما زالت ترتدي الملابس الخاصة بالنوم، فقالت جيهان وهي تصرخ:

- ما الذي حصل لك؟! هل أنت بخير يا ندى؟!

فلم يأتها جواب من الطرف الآخر، فهزّتها وهي تقول:

- ندى أرجوك أخبريني ... ماذا حدث؟! هل هذا بسببي؟!

فأجابتها ندى بصوت مخنوق:

- كلا ... أنت لا دخل لك ... بسبب أهلي
- وهل حدث لهم أي مكروه؟!
- لا لم يحدث
- إذا ما الذي طرأ بعدما ذهبت؟
- لم يطرأ أي شيء ولكن وبعدما سافرت إلى تركيا من دون إخبارهم ... يقومون بعتابي الآن بدلا من أن يشجعوني ويدعوا لي
- من هم؟!
- لقد قاما والديّ بإرسال رسائل لعتابي وتوبيخي، ومن غبائي اتصلت بأختي أمل ظنا أنها ستخفف من آلامي، لكنها وضعت حملا كبيرا فوق حملي..
- فليسامحهم الله ... فأنا هنا لم أمت وأنا معك دائماً، هيا الآن قومي لنتناول الشاورما اللذيذة وبعدها نجد حل لهذه المشكلة الصغيرة
- لا يوجد لي شهية للطعام
- ماذا؟! ستأكلين رغما عنك، فإن لم تأكلي سأكون قد خسرت حق الوجبة
- لا شكرا كليها أنت
- لا لن آكلها ... من قال إني متوحشة لآكل وجبتين شاورما في مرة واحدة؟! هيا قومي بسرعة لكيلا يبرد الطعام

- ولكن
- هيا كفاك دلالا ... اجبري بخاطري قليلا

ومن ثم قامت جيهان بمعانقة ندى لتهدئتها...

- ولكن وقبل تناول الطعام ستقومين بتغيير ملابسك وغسل وجهك وتسريح شعرك هيا لترجعي أميرتي الجميلة كما عهدتك
- ويحك هل تخاطبين طفلة؟! حسنا سأذهب
- بانتظارك على المائدة

وبينما كانتا تتناولان الطعام قالت جيهان مخاطبة ندى:

- حسنا ... بعد انتهائنا سأتصل بأمك لإخبارها بوضعك وبعدها تتحدثين معها
- لا شكرا لا أود هذا
- ولم لا؟!
- سيفهمون يوما أني كنت على صواب
- لكن يا ندى نحن لا نعيش بمنافسة إنهم أهلك ومن حقهم اتخاذ موقف من تصرفاتك
- كفى أرجوك ... قلت لا وانتهى الكلام هنا
- آه ...كما تشائين أنا فقط أريد مصلحتك
- شكرا لك ... على أي حال يجب أن استقر في منزل بتركيا
- لماذا لا تنتظري لتعملي وتجمعي نقود تكفيك لشراء أو استئجار شقة صغيرة
- لا أستطيع سأنتقل للعيش في سكن شبابي
- سكن شبابي؟
- نعم سكن شبابي
- لكنك لن تكوني لوحدك فيها

- سأعتاد العيش فيها ريثما أجمع نقودا كافية
- كما تشائين ... وماذا بشأن والديك؟

تجاهلت ندى سؤالها فقالت في لا مبالاة:

- ماذا بشأن المنزل ... ابحثي لي من فضلك
- حسنا سأفعل ... سأقرأ لك بعض المعلومات حول هذا الموضوع:

نشأ السكن الشبابي في إسطنبول خاصة، وهو لا يقتصر على العرب وحدهم بل إن هذه الفكرة موجودة لدى الأتراك أنفسهم ولعل منطقة اكسراي، الفاتح، تقسيم من أكثر المناطق التي تحتوي على سكن شبابي نظرا لموقعها وسط المدينة وقربها من المواصلات والأسواق ومكاتب العمل، كما أن اسنيورت وأفجلار تتميز بأسعار مناسبة بالنسبة للقاطنين في الجهة الغربية من إسطنبول

- وما المكان الأمثل للعيش برأيك؟
- أظن أن تقسيم هي الأفضل
- إذا سأعيش في تقسيم
- على بركة الله

13
السكن الشبابي

- أين أنت يا ندى؟
- أنا هنا ... هل من جديد؟!
- نعم
- وماذا حصل؟ أخبريني بسرعة
- فيما بعد
- جيهاان هيا قولي لي
- بعد الغداء فأنا أشعر بجوع شديد
- وماذا سنتناول على الغداء اليوم؟!
- سنحضر المعكرونة سويا
- معكرونة؟!
- نعم معكرونة مع الدجاج وصلصة الطماطم وبعض الخضار
- امممم ... يبدو هذا شهيا
- هيا تعالي معي إلى المطبخ

* * * * * * * * * * * * * * *

وبينما كانتا تتناولان طعام الغداء سوياً قالت ندى:

- والآن قولي لي ماذا حصل معك؟
- تمهلي قليلا أريد أن أتناول طعامي بهدوء
- كلا لن انتظر ... هيا قولي لي بسرعة
- ما بيدي حيلة ... حسنا سأفعل
- أسمعك بوضوح
- استأجرت لك غرفة في سكن شبابي، مع فتاة عربية اسمها سارة
- وكم كان ثمن الإيجار؟
- 300 ليرة تركية شهريا، ولستِ بحاجة لدفع كومسيون لأنني قمت باستئجارها من صاحبها مباشرة
- وهل أنا بحاجة لدفع فواتير؟
- لا ... فالفواتير متضمنة مع الأجرة، كما أنها مفروشة فرش كامل
- هذا جيد ... شكرا لك
- لا شكر على واجب
- ومتى سأذهب؟
- سأقوم بتوصيلك صباح الغد
- إذا سأحزم أمتعتي

قالتها وانصرفت بسرعة للبدء بحزم أمتعتها

- انتظري قليلا ... ألن تقومي بمساعدتي في تنظيف المائدة
- فيما بعد
- آه ... يا لك من شقية! سأجمعها وحدي إذا

* * * * * * * * * * * * * * *

- صباح الخير يا جيهان العزيزة

- صباح النور ... أهلاً ندى
- متى سننصرف من هنا
- عشر دقائق ونكون في السيارة
- إن شاء الله

تجهزت جيهان وبعدها انطلقتا سويا إلى السكن الشبابي، وبينما كانت ندى تشغل نفسها بمشاهدة الطريق من نافذة السيارة قالت لها جيهان:

- سآتي اليوم إلى عندك بعد انتهائي من العمل، لكي اطمأن عليكِ، بالإضافة إلى أنني سأحمل لك مفاجأة
- مفاجأة؟! وما هي؟
- مفاجأة ... والآن ها قد وصلنا
- السلام عليكم
- وعليكم السلام

* * * * * * * * * * * * * * * * *

كانت ندى منهمكة بترتيب غرفتها فقامت بوضع فراش جديد للسرير ثم رتبت ملابسها في الخزانة، وعطوراتها وبعض مساحيق التجميل على الطاولة الخاصة بها، ومن ثم رتبت بعض الكتب الخاصة بعلم النفس وبعض الروايات المتنوعة على الرفوف، كما أنها وضعت حاسبها الشخصي وجوالها المحمول وهاتف لاسلكي على المنضدة القريبة من النافذة، وبعد انتهائها ابتعدت لتطالع الغرفة فلم تشعر بالرضا فكان شكلها ممل بعض الشيء، وكانت تحمل بحقيبتها ستائر مزركشة زهرية اللون توضع من خلال لاصق فوضعتها على النافذة ثم رسمت بعض الزخرفة على المرآة الطويلة الموجودة قرب الباب، وأضافت أيضا بعض اللوحات البسيطة التي تحوي صورا للطبيعة على الجدران، ابتعدت مرة أخرى لترى شكل الغرفة

فأعجبها، ولكي تنظم وقتها قامت بإنشاء جدول على برنامج موجود على حاسبها وكان كالآتي:

الأعمال التي يمكن القيام بها لاستغلال الوقت:

الصلاة على أوقاتها

قراءة جزء من القرآن يوميا

الرسم بأنواعه كالرسم بالفحم، الرسم الهندسي المنظور، الرسم بألوان عدة منها الخشب، المائية، الشمع...إلخ

كتابة يوميات ... خواطر ... قصص أو روايات

قراءة كتب أو روايات

تعلم لغات جديدة

ممارسة الأعمال اليدوية مثل: صناعة الحُلي، التطريز، الخياطة

ترتيب وتنظيف الغرفة

الطهي مع شريكتي في المنزل

التفاعل على صفحات التواصل الاجتماعي

وأي شيء إضافي مقبول...

قامت بطباعة الجدول ومن ثم علقته على الحائط وهي تبتسم، نظرت حولها وهي تفكر ما الذي عليها فعله الآن؟؟ وبعد قليل من التفكير سمعت صوت باب الشقة يفتح فأطلت من باب غرفتها فرأت فتاة ذات شعر أسود وعينان زرقاوان وبشرة حنطية جميلة فتوقعت أن تكون سارة فطالعت نفسها على المرآة ثم ذهبت إلى عند الفتاة لتبدأ بالتودد إليه فكانت بطلتنا اجتماعية بطبعها فقالت بصوت مليء بالحماس واللطف:

مرحبا ... هل أنت سارة؟!

- أهلا ... نعم أنا هي، أظن أنك شريكتي في السكن أليس كذلك؟

- نعم ... أعرفك بنفسي اسمي ندى الخطيب
- وأنا سارة البواب ... سررت بمعرفتك

ابتسمت ندى بلطف ثم قالت:

- هل تناولت طعام الغداء
- لا ليس بعد ... بصراحة وددت أن أتناوله معك
- هذا جيد!! وماذا سنأكل؟
- هل تذوقت المكسيكي من قبل؟
- نعم
- حسنا ... لقد قطعت الدجاج والفليفلة، واشتريت أيضا فطر وذرة معلبة ولدينا بصل ولم يبق إلا طهيها ببعض الزيت
- جهزي الطاولة والصحون ريثما أقوم بطهيها
- هذا رائع!!

* * * * * * * * * * * * * * * *

كانت ندى تتناول المكسيكي مع صديقتها الجديدة سارة بهدوء وخفة، إلى أن سألتها سارة: صحيح ... لم تخبريني من أي بلد أنت؟

- أنا من سوريا وتحديداً من العاصمة دمشق، وماذا عنكِ؟
- أنا سوريّة أيضا، لكنني كنت أعيش في الإمارات
- امممم ... هذا جميل

وبعد هذا الحديث المقتضب قامتا بتناول طعامهما بسكون شديد وصمت ثقيل، وبعد انتهائهما من الأكل وتنظيفهما للطاولة والأواني قالت ندى بودّ:

- اعذريني الآن سأقوم بإجراء مكالمة في غرفتي
- لا بأس ... خذي راحتك

انصرفت ندى لغرفتها، وعندما دخلت تناولت جوالها واتصلت بجيهان:

يرن ... يرن ... يرن

- آه جيهان كيف حالك؟!
- بخير وأنت؟
- لقد قلقت عليكِ ... ألم تقولي لي أنك ستأتين إلى عندي

فقالت جيهان مداعبة لصديقتها:

- وهل اشتقت لي بهذه السرعة؟
- نعم ... قليلا
- حسنا أنا في طريقي إليك
- جميل ... بانتظارك
- حسنا ... إلى اللقاء
- إلى اللقاء

* * * * * * * * * * * * * * * * *

- أهلا بك حبيبتي جيهان
- كيف حالك ... لقد افتقدتك
- تعالي لكي أريكي غرفتي الجديدة
- هيا بنا

دخلت جيهان فأعجبت بغرفة صديقتها كثيرا ... فتحت الستائر لترى الإطلالة الرائعة، ثم فتحت الخزانة لتعبث بملابس ندى، وبعدها رشّت من إحدى زجاجات العطر الموجودة على الطاولة، وآخر شيء قامت به هو الاستلقاء على السرير المريح الخاص بندى....

- ما بك؟! هل أتيتِ لتعبثي بالغرفة أم لترينني
- أتيت من أجل المفاجأة

كانت ندى قد نسيت المفاجأة كليا فصاحت بشيء من الدهشة:

- صحيح ... المفاجأة!!
- هيا بدّلي ملابسك بسرعة سنذهب
- إلى أين
- ستعرفين بعد قليل

قالتها ومن ثم غادرت الغرفة، وعندما كانت خارجة رأت سارة بوجهها:

- آه سارة ... كيف حالك
- بخير ... أنت جيهان التي استأجرت الغرفة لندى أليس كذلك
- نعم هو كذلك
- هل أنت ذاهبة الآن؟
- أجل لكنني انتظر ندى لكي تجهز لأنني سأصحبها معي

لم تكن سارة من النوع الفضولي لذلك لم توجه أسئلة لجيهان بل اكتفت بقول: هذا جيد، ومن ثم همّت لتنصرف فأوقفها صوت جيهان وهي تقول لها:

- تعالي معنا ستستمتعين
- أولن أزعجكم
- بالعكس سنقضي وقتا رائعا معا ... نحن الثلاثة
- حسنا إذا سأبدل ملابسي وسآتي على الفور
- بانتظارك

ذهبت سارة مسرعة كالطفلة التي ستقدم لها قطعة من الحلوى، وبعد انتهائهن ركبن بالسيارة مع جيهان ليرون ما هي المفاجأة؟!!

14
المفاجأة!!

قامت جيهان بقيادة السيارة إلى مكان النزهة وعند وصولهم نزلت الفتيات من السيارة ليبدأن في جولة بساحة تقسيم الرائعة!!!

- إلى ساحة تقسيم إذا ... يا لك من ذكية حقاً فلقد عرفتي طلبي فمحسوبتك من محبي السهر والحياة الليلية
- شكرا جزيلا يا جيهان ... إنه مكان رائع فعلا!!

غمزتها جيهان وهي تقول:

- لا داعي للشكر يا سارة ... فأنا استمتع معكم أيضا
- هيا بنا لنتجول ونقضي وقتا ممتعا!!
- آه يا ندى ... دائما مستعجلة، هيا بنا لنبدأ التجوال
- هياااااا

كانت الساحة تنبض بالحياة طيلة 24 ساعة من خلال مطاعمها وبازاراتها المطلة على البسفور الممتد خلالها في كل مكان، فقاموا أولا بجولة تاريخية ترفيهية بين عشرات المباني الأثرية وأهمها النصب التذكاري، ثم زاروا بعض مراكز التسوق العصرية ليقتنوا منها بعض الأشياء، وبعد انتهائهم من شراء بعض الحاجيات ومستلزمات المنزل ذهبن إلى محل للتحف والهدايا....

- ماذا هناك يا ندى؟! لماذا توقفت؟
- أريد أن اشتري بعض الأشياء
- من هنا؟!

- أجل
- كما تشائين وأنا سأشتري إذا

فقالت سارة وهي تصفق تصفيقا حارّا:

- وأنا أيضا ... هيا أرجوكم!!

رمقتها جيهان بنظرة استغراب ثم قالت:

- كنت أظنك العاقلة الوحيدة بيننا ... فشكلك يوحي بهذا لكن تصرفاتك لا توحي أبدا

تورّدت وجنتا سارة ثم قالت:

- أظنك لم تتعرفي إليّ جيداً بعد...

قامت ندى بغمز جيهان وهي تقول:

- يبدو أننا نحتاج لوقت طويل لنتعرف على صديقتنا الجديدة

ثم تبادلتا سويا ضحكة ذات معنى، بينما كانت سارة تنظر إليهما بتعجب، وبعد قليل من الكلام الإضافي سمعن صوتا رجاليا غير بعيد عنهما يقول بلغة تركية مزعجة:

ALMAK ISTEMIYORSAN BURDAN GIDEBILIRSIN

نظرن إليه بامتعاض يكاد يبدو واضحا فقالت جيهان لتدارك الموقف:

TAMAM ŞIMDI ALMAYA GIDELIM

وعند دخولهن إلى المحل همست سارة. بأذن صديقتها جيهان:

- ماذا قال ذلك الأحمق؟

فردت بنفس الصوت المنخفض:

- إن كنتم لا تودون الشراء بإمكانكم الذهاب من هنا
- وأنت ماذا قلت له؟
- حسنا سندخل حالا

- من الجيد أنك تجيدين اللغة التركية

ومن ثم ذهبت لتخبر ندى بما قال، لكن ندى كانت تعي ما قاله فكما نعلم أنها تجيد اللغة التركية...

- حسنا يا ندى ما الذي تريدين شراءه؟
- ثلاث هدايا واحدة لأبي وواحدة لأمي وأخيرا واحدة لأختي أمل

فقالت جيهان مداعبة:

- تودين مصالحتهم إذا!!

تجاهلت ندى جملتها الأخيرة وهمّت لشراء الهدايا فقامت بشراء ساعة يد فضية اللون لوالدها المهووس بالساعات والتوقيت، وعطر فواح بالرائحة المحببة لأمها ألا وهي رائحة الياسمين، وختاما ... زهريّة صغيرة الحجم لونها أحمر لشقيقتها الصغرى أمل، وبعد انتهائها من شراء الهدايا قامت بتغليف هدية والدها بورق تغليف أزرق وهدية والدتها باللون البنفسجي وهدية أمل باللون الأصفر الزاهي...

- لقد انتهيت ماذا عنكما؟!
- أنا أيضا انتهيت ... فلقد قمت بشراء هدية لوالدتي وهدية أخرى لصديقتي نورا، ماذا عنك يا سارة؟
- لحظة واحدة ... كدت انتهي

تطلب انتهاء سارة خمس دقائق أخرى وبعدها قاموا بمحاسبة صاحب المحل اللئيم أو هكذا وصفته سارة، ومن ثم خرجن وكانت سارة محمّلة بالكثير من الهدايا فتساءلت ندى:

- لمن كل هذه الهدايا يا سارة؟

فقالت سارة ببرود لتحافظ على خصوصيتها:

- الأحباب كثر

امتقع وجه ندى بسبب برود وتحفّظ صديقتها لكنها حالما نسيت الأمر عندما طرحت جيهان هذه الفكرة الرائعة:

- والآن ما رأيكم بأن نذهب إلى إحدى صالات السينما ونشاهد فيلماً نستمتع به؟
- نعم هذا رائع!!
- أوافقك الرأي!!

ومن ثم مشين بضع أمتار بسرعة حتى وصلن إلى السينما...

* * * * * * * * * * * * * * * *

قمن بشراء الفوشار اللذيذ ثم دخلن إلى المسرح، قطعن التذاكر ثم اتخذن أماكنهن، وبعد دقائق عديدة وكان المشاهدون قد تجمعوا في الصالة أطفئت الأضواء وسكت الجميع لانتظار الفيلم فقالت ندى هامسة:

- هل يعرف أحدكم ما هو عنوان الفلم؟

لكن يبدو أن صوتها لم يكن منخفضا بالقدر الكافي فالتفتت إليها سيدة تبدو في الخمسينات من عمرها وقالت لها بلطف:

- اسمه "**in time**"

احمرت وجنتا ندى فهتفت بلطف هي الأخرى:

- شكرا يا سيدتي ... ونتأسف على الإزعاج
- لا بأس هيا الآن لقد بدأ الفلم

فيلم **IN TIME**:

قصته غريبة وأحداثه تكاد تكون قليلة لكن فيه رسالة عبقرية وواقعية إلى حد الذعر في وقت واحد!

يبدأ الفيلم بأن عمر الإنسان الحقيقي مسجل على ذراعه الأيسر، والمرعب في الفكرة استعمالهم العمر في التعاملات المادية بدل المال!

بمعنى أنهم عندما يريدون الحصول على متطلباتهم الحياتية اليومية يقومون بالسداد عن طريق الوقت المتبقي من العمر على ذراع كل منهم، كما أن أحد المشاهد يظهر البطل وهو ينتظر أمه على المحطة ليمنحها من يده بعض الساعات والأيام لكي يلحقها قبل أن تموت لأن المتبقي من عمرها كان ساعة ونصف فقط، وبطارية العمر لديها ستنتهي حيث ستموت بشكل تلقائي...

وعندما استقلت الأم الباص قاصدة ابنها قال لها السائق:

سيدتي الإيجار يعادل استهلاك ساعتين من عمرك ولا تملكين سوى ساعة ونصف فقط فنظرت للناس حولها نظرة حيرة ورجاء لكن لم يكترث أحد منهم ولم يمنحها أحد بضع دقائق من عمره...

فنزلت الأم وبدأت بالجري مسرعة لمقابلة ابنها الذي قرر أن يهبها عشر سنوات من رصيد عمره حباً بها، فشاهدا بعضهما من بعيد وقاما بالجري باتجاه بعض والدقائق تعد والثواني تجري ومجرد أن وصلا لبعض وحضنت الأم ابنها وقعت بعدها وماتت لاستنفاذها آخر ثانية من عمرها!!!

* * * * * * * * * * * * * * * *

وبعد انتهاء الفيلم خرج الجميع من صالة السينما فبدأت سارة تهتف:

- لقد كان فيلما رائعا بالفعل!!

فقالت جيهان بصوت هادئ:

- رائع ... محزن ... مرعب وأخيرا واقعي!!

هزت ندى رأسها بتفهم من دون أي تعليق، وبعدها ذهبن جميعا لأحد المطاعم لتناول طعام العشاء، وعند انتهائهن من النزهة قامت جيهان بإيصال ندى وسارة إلى منزلهما ومن ثم ذهبت إلى منزلها...

عند وصول ندى مع سارة إلى الشقة كانت متعبة جدا وبنفس الوقت سعيدة ... وضعت الهدايا على الطاولة الموجودة بغرفتها ومن ثم تهالكت على الفراش في إعياء وغطت في نوم عميق...

15

اعتذار

- صباح الخير سارة ... كيف حالك؟
- صباح النور عزيزتي، الحمد لله بخير
- هل أعجبتك نزهة أمس؟
- نعم ... لقد كانت رائعة حقاً!
- جيد ... هل تناولت طعام الفطور؟
- لا كنت انتظر استيقاظك كي نتناوله سويا
- جميل هيا بنا إذا لنحضره
- هيااا

ذهبت سارة إلى المطبخ فلحقتها سارة لتبدآ بتحضير طعام الفطور معا لأول مرة...

- ماذا أفعل أنا؟
- ضعي بعض الأطعمة من فضلك ريثما أجهز البيض والشاي والمكدوس
- أين تضعين طعام الفطور عادة؟

فقالت سارة بلهجة مسرحية:

- حسنا ... خذي هذان نوعان من الزعتر أحمر وأخضر، وهنا الجبنة البلدية والمطبوخة والقشقوان وأيضا حلاوة الفستق، وهذه قارورة الزيت البلدي بالإضافة إلى الزيتون الأسود والأخضر وأخيرا المرتديلا والزبدة والمربى هل تريدين شيئا آخر؟
- آه ... لا شكرا لك!

وبعد انتهاء ندى من وضع الفطور وسارة من قلي البيض ووضع المكدوس الشهي بدأتا في التهام الطعام بشهية:

- هل تريدين قدحا من الشاي المخمر؟
- نعم ... لا بأس بهذا!

* * * * * * * * * * * * * * * *

انكبّت ندى الخطيب على أوراقها التي كانت تستخدمها في تلك اللحظة كمسودة دونت رسائلها الثلاث عليها ثم همّت لتكتبها على حاسبها الشخصي وكانت الرسالة الأولى من نصيب أمها:

صباح الخير أمي العزيزة، كيف حالك؟ أتمنى من الله أن تكوني بكامل الصحة والعافية...

اعذريني على كلامي الجاف واللامبالي فكنت تحت صدمة احتراق منزلي والحادث كما أنني كنت مجهدة ومتعبة من السفر، ومن الآن فصاعدا سأكتب لك رسالة كل يوم ما أمكنني الأمر، وسأحرص على صلاتي وقراءتي للقرآن الكريم...

أمي الغالية أرجوك سامحيني إن أسأت إليك!

وبعدها كتبت رسالتين مماثلتين تقريبا أحداهنّ لوالدها والأخرى لأمل، انتظرت طويلا ليأتيها رد الثلاثة وعندما قرأته فرجت أساريرها ورُسمت ابتسامة واسعة على وجهها الجميل وكانت تردد كلمة واحدة على لسانها:

- ما أجملكم من عائلة!!

16
حكاية قبل النوم

استيقظت ندى صباحا وهي تشعر بالكثير من الطاقة الإيجابية والسعادة، غسلت وجهها وسرّحت شعرها وعقدته على شكل ذيل حصان عال، ثم لبست كنزة زهرية اللون ذات أكمام قصيرة بعض الشيء وبنطال أسود ليغرا، وأخيرا خرجت من غرفتها وابتسامة مشرقة تعلو وجهها تبادلت مع سارة بعض الكلمات اللطيفة ومن ثم هرولت إلى المطبخ لتعد القهوة الصباحية فساعدتها سارة بوضع الفناجين وبضع قطعات من البتيفور الشهي وبالتالي تشاركت معها قهوتها اللذيذة الساخنة، وعند انتهائهما من احتساء القهوة شرعتا لتجهيز الفطور والتهامه وتنظيف الأواني والطاولة، وعندما كانت الساعة الواحدة والنصف قامتا بتنظيف المنزل فقامت ندى بتكنيسه وتنظيف الحمامات الخاصة به أما سارة فقامت بمسح أرضيته ومسح الغبار أيضا، وبعد كل هذا أخذت الفتاتان حماما سريعا وجلستا للتحدث سويا فبدأت سارة الحديث:

- الساعة الآن الرابعة تماما، بقيت نصف ساعة ويحين أذان العصر فما رأيك أن نصلي العصر ونذهب للتسوق؟ فنحتاج لشراء بعض الحاجيات للمنزل
- تبدو لي فكرة جيدة سألبس وأصلي ونذهب
- إن شاء الله
- إن شاء الله ... عن إذنك إذا
- الإذن معك

* * * * * * * * * * * * * * * *

قامتا بالتسوق في أحد بازارات تقسيم فسكنهم متواجد هناك أي أنها أقرب نقطة، وعندما عادتا إلى المنزل نظمتا أغراضهن في أماكنها وشرعتا لإعداد الطعام وكان الطعام سريعا هذه المرة فقامتا بإعداد رز مع البازلاء، وجلستا سويا كي تتناولا طعامهما، وعند انتهائهما وشربهما للشاي المخمر جلستا ليتسامرا قليلا وبعد حديث لطيف مقتضب قامت ندى لتصنع الفوشار أما سارة فعملت قدحان من النسكافيه الساخنة، ومن ثم جلستا مقابل بعضهما فبدأت ندى بالحديث هذه المرة:

- اسمعيني جيدا عزيزتي سارة ... الآن نحن نسهر سويا لأول مرة وأنا أريد أن نكون صديقتان مقربتان ألا توافقيني الرأي؟
- بالطبع وأنا أطلب هذا أيضا!
- جيد إذا، وبما أننا سنصبح كذلك يجب ألا نخفي شيئا عن بعضنا البعض فأنا لا أعرف شيئا عن حياتك وبالتالي أنت لا تعرفين شيء
- لقد فهمت ما ترمين إليه، سأخبرك أنا أولا عن قصة حياتي ثم تقومين أنت بإخباري أيضا اتفقنا؟

نظرت ندى إليها نظرة ظفر وانتصار فكانت سارة سريعة الفهم والاستيعاب ثم هتفت بحماس:

- نعم ... اتفقنا!!

تنهدت سارة عميقاً وهي تعدل جلستها ثم ارتشفت من قدح النسكافيه خاصتها وتناولت قطعتا فوشار ثم بدأت حكايتها الطويلة بينما كانت ندى مطرقة بصمت:

- اسمي سارة البواب، من مواليد 1993 أعمل كخبيرة تجميل وكوافيرة، لوني المفضل هو الأصفر ورياضتي المفضلة هي رياضة الجمباز بالإضافة إلى أن وجبتي المفضلة هي الكبة المشوية، وأخيرا نوع الزهور المفضل لدي هو الزنبق البلدي، كما

أنني أمارس بعض الهوايات إلى حد الآن كالرسم التطريز والقراءة وأيضا الفروسية فأنا أعشق الركوب على الخيل وقيادته....

أما عن عائلتي فهذه قصة طويلة يصعب شرحها، بدأت عندما ولدت فكنت الفتاة الوحيدة التي أنجبتها أمي، كبرت وترعرعت وعندما بلغت الخامسة بدأت أشعر بالوحدة الشديدة فكنت أقضي معظم وقتي مع جليسة الأطفال لأن والديّ كانا منهمكين في العمل، كما أنني كنت أتمنى لو كان عندي أخوة أو أخوات ألعب معهم وأقضي وقتي برفقتهم ... لكنني عندما أصبحت بالصف الأول الابتدائي بدأت أتأقلم مع وضعي فشغلت مع أصدقائي الجدد في المدرسة وشعرت بسعادة جمة إلى أن...

- إلى أن؟! أكملي
- إلى أن تعكر صفو منزلنا من جديد، بسبب مشكلة حدثت بين والديّ مما أدت إلى انفصالهما، هل تتوقعين ما هو الدافع لذلك الأمر؟

نظرت إليها ندى بحيرة، فابتسمت سارة ابتسامة ساخرة ومن ثم أردفت:

- بسبب مرض أمي في اليوم الذي كان والدي قد دعا فيه أصدقائه إلى المنزل لتناول مأدبة طعام عنده، وعندما عاد من عمله ورأى أمي متعبة وليست قادرة على إعداد طعام الوليمة صرخ بوجهها كثيرا وأنّبها بشدة وبعدها هل تعلمين ماذا قال؟ قال إن أمي تدعي المرض لكيلا تعد الطعام ولكي تخذله متعمدة ذلك لكن كل هذا كان محض اتهامات وادعاءات ليس لها أي قيمة...

رفعت ندى حاجبيها من الدهشة وثغرت فاها ثم قالت بحذر:

- وما الذي حدث بعد ذلك؟!

ازدردت سارة ريقها الذي جف ثم مسحت عبراتها من على وجنتيها واستطردت لتشرح لصديقتها:

- قام أبي بطلاقها وأرسلني معها طبعا لكي نعيش بمنزل جدتي العجوز، فكان هو من النوع اللامبالي فلم يهتم بي قط ولم يرد أن يربيني، وإنه من الأفضل لي أن أذهب مع أمي إلى منزل أمها...

رشفت القليل من كوبها ثم تابعت:

- عشنا تسع شهور مع جدتي ثم أصيبت بالمرض الخبيث في رئتيها مما أدى إلى موتها، وبعد انتهاء مراسم العزاء شرع أخوالي وخالاتي للقيام بحصر الإرث، ولم يفكروا بأن أختهم المطلقة تعيش مع وحيدتها في المنزل بل قاموا ببيعه رغما عن أنفها ولم يكن بيدها حيلة فهذا حقهم، وعندما حصلت أمي على نصيبها من الإرث اشترت غرفة مع منتفعاتها في منطقة بسيطة سعر المنازل فيها معقول لنعيش سويا وبدأت تعمل في تنظيف المنازل كي تكسب قوت يومها وتصرف على المنزل لأن عملها كان مشتركا مع أبي وعند طلاقها تركت العمل وبقيت من دون نقود أما أنا فقد سجّلت في مدرسة عامة بالقرب من الشقة الصغيرة ورضيت بالقليل فدائما كانت أمي تقنعني بالرضاء بقضاء الله وقدره وبالأخذ بالأسباب...

- يا لها من أم مناضلة حقا!! ليتني ألقاها يوما وأحدّثها!

تجمعت العبرات في مقلتي سارة وهتفت بصوت مخنوق:

- لن ... لن تستطيعي!

ثم حاولت جاهدة تمالك نفسها لكنها لم تستطع فأخذت عبراتها تسير ببطء على وجنتيها ومن ثم تهاوت على أحضان ندى فهمّت ندى لتعانقها وهي تقول بدورها:

- حبيبتي سارة أنا جدُّ آسفة أرجوك سامحيني، ما كنت أعي أنك بشرح هذا لي ستعود الذكريات الموجعة لك، فمن ينظر إليك يعلم كم أنت قوية وذات قلب جسور كفى بكاء فأنا لا أحب رؤيتك وأنت بهذه الحالة!!

أبت سارة الإصغاء لكلامها فاستمرت ببكاء مرير وكادت ندى تبكي معها لولا أن تمالكت سارة نفسها ومسحت دموعها من على وجهها ثم أردفت:

- لا بأس فالذنب ليس ذنبك، إن قدري أن أعيش هكذا منذ كنت طفلة!
- بإمكانك ألا تكملي!

تجاهلت جملتها الأخيرة ومن ثم أكملت:

- وبسبب تعب أمي الشديد وإرهاقها وتحملها فوق طاقتها فكان طلاقها أولا ثم وفاة أمها ثم عدم اكتراث أخواتها وإخوانها بها وأخيرا عملها في تنظيف المنازل كل هذا قد جرح كبريائها ونفسها الشامخة وكسرها كسرا شديدا بالإضافة إلى أنه سبب لها مرض في القلب وكانت حالتها تزداد خطورة رويدا رويدا إلى أن جاءت لحظاتها الأخيرة وعندما كانت تحتضر وكنت أنا عندها برفقة صديقة عمرها أشواق التي اعتنت بي بالآونة الأخيرة عندما كانت أمي بالمستشفى، فلم تنساني أمي حتى وهي تموت فأوصت أشواق بالإعتناء بي والإشراف على دراستي وتحصيلي العلمي، فتبين لها أن أشواق قد وافقت فماتت وهي مرتاحة...
- رحمها الله وجعل مثواها الجنة!! وهل اعتنت بك أشواق فعلا؟!
- ليتها فعلت ... فبعد انقضاء فترة العزاء قامت بوضعي في ميتم لكيلا تكون مسؤولة عن تربيتي، وعندها فقدت الثقة بجميع من حولي أبي أولهم ثم عائلته وعائلة أمي وحتى صديقتها التي كنت اعتبرها بمثابة خالتي قامت بخذلاني...
- وكم كان عمرك عندما عشت في الميتم؟!
- 11 سنة ... كانت معاملتهم صارمة جدا وقاسية، لكنني لم أكن أتفوه ببنت شفة لأنه المكان الوحيد المتبقي لي وأكملت حياتي على هذا المنوال، وعندما بلغت 18 سنة تخيلي مع من خرجت من الميتم؟!
- مع من خرجتِ؟!!

ابتسمت ابتسامة أكثر سخرية هذه المرة ثم همست:

- مع جمال!!
- ومن هو جمال هذا؟!
- الشخص اللامبالي الذي ترك ابنته الوحيدة وزوجته يعيشان حياة قاسية مرّة الذي يفترض أن يكون...

أردفت بشيء من الاشمئزاز:

- والدي!!!

صعقت ندى وحملقت بعينيها وهي تنظر إلى سارة، فكان الخبر مدهشا فعلا فكيف يأخذها من الميتم بعد كل هذه السنين؟؟! يا له من شخص غريب فعلا!!

- وما الذي كان يريده منك بالضبط؟!
- لقد كان مريضا بسرطان الرئة أيضا لذلك قام بمراجعة نفسه أثناء فترة مرضه ومن شدة شعوره بالذنب أراد أن أسافر معه إلى الإمارات ليدخلني في مجال التجميل وتصفيف الشعر، وكنت فعلا تلميذة نجيبة تعلمت بسرعة وبدأت أكسب قوت يومي وهكذا إلى أن اشتركت في شقة بمنزل شبابي مع ثلاث فتيات!
- ولماذا ذهبت معه؟ ألم تكوني تكرهينه؟!
- نعم بالفعل ... لكنني أقنعت نفسي بالذهاب معه فلم يكن يوجد في يدي حيلة فأصبحت أحسبه أي شخص عادي يعلمني مهنة جديدة، فمنذ ماتت أمي قررت أن أضع مشاعري بقفص من حديد وأقفله وأرمي المفتاح بعيدا أي أنني أصبحت إنسان أجوف خالي من أي مشاعر...
- وبعدها انتقلت إلى هنا صحيح؟!

- نعم لكن هل تعرفين ما الذي تغير في حياتي بعد أن عشت في هذه الشقة؟! لقد بدأ حب الحياة الذي تلاشى عندي منذ زمن يعود أدراجه بسببك أنت وجيهان فلقد أصبحتم كل عائلتي من الآن فصاعدا و ... وأتمنى بألا تقوما بخذلاني..

قامت ندى بوضع يد سارة الرقيقة بين كفيها ثم قالت بحنو:

- لا تخافي يا عزيزتي لن نفعل ... وبإمكانك اعتباري أختا لك إن أردت طبعا!
- نعم سأفعل!!

ثم تعانقتا بحب جمّ إلى أن قالت سارة:

- والآن دورك هيا أخبريني بقصتك

قصّت ندى حكايتها على مسامع صديقتها بالتفصيل الممل وكانت تحمد الله بسرّها وتقول:

- الحمد لله، هناك أناس يعيشون حياة صعبة فما حياتي أمام حياتهم!!

وعندما أنهت ندى قصتها لقيت نفس التعبير والتأثر من سارة وبعدها صلتا الفجر سويا أيضا وغطتا في سبات عميق....

17
مهنـة حرّة

عادت سارة من عملها إلى المنزل فوجدت ندى منهمكة في القراءة فجلست بقربها وقالت بصوت منخفض كي لا تفزعها:

- ماذا تقرئين يا ندى؟
- آه أهلا سارة لم ألحظ وجودك هنا ... امممم اقرأ رواية " في قلبي أنثى عبرية*" وأنصحك بقراءتها
- ولم لا سأحاول أن أتفرغ كي أقرأها!
- هذا جيد
- ومتى سنتناول طعام العشاء؟
- لقد جهزت المعكرونة بالبشاميل لكن جيهان اتصلت بي وقالت إنها ستتناول طعام العشاء معنا
- ننتظرها إذا!
- حسنا

---

*في قلبي أنثى عبرية: إحدى أشهر الروايات الصادرة من قبل الكاتبة الدكتورة خولة حمدي، صدرت عام 2013

* * * * * * * * * * * * * * * *

طرقات سريعة على الباب جعلت ندى تقوم مسرعة مخلّفة روايتها خلفها لتفتح الباب وعندما فتحته أطلّ وجه جيهان الجميل فاستقبلتها بحفاوة ولحقتها سارة لتكرر نفس الشيء...

- أوه ... أهلا جيهان لماذا تأخرت؟
- بسبب الازدحام الشديد!

فقالت سارة بلهجة مسرحية:

- جيهان ... كدت أموت من الجوع، ولم أعد قادرة على الحراك!
- حقا ... هذا جيد

فأطلقن جميعا ضحكة خفيفة ... وعلى طاولة العشاء بدأت ندى الحديث:

- صحيح يا سارة ماذا كنت تريدين أن تقولين لي؟

تنهدت سارة ثم قالت بجدية:

- فرصة عمل ذهبية!! مهنة حرة!!
- مهنة حرّة!!
- نعم ... لدي عرض ذو قيمة، سأعرضه عليك ومعك مهلة 24 ساعة للتفكير
- موافقة ... أسمعك

كانت ندى تنظر بتحفز وحماس وهي تحث سارة على المتابعة:

- مهنة حلاقة نسائية ... قص، تجميل، شنيون، صبغة، وتجهيز عرائس!
- امممم ... أريد تفاصيل من فضلك
- حسنا سأبعث لك رسالة بريدية مفصلة عن الأمر ... أعطني فقط عشر دقائق ريثما أنهي طعامي
- موافقة!

فقالت جيهان بحماس شديد:

- الحمد لله ... أتمنى لك التوفيق يا حبيبتي!
- شكرا جيهان!

* * * * * * * * * * * * * * * * *

مرحبا ندى للعمل في صالون تجميل يجب العمل على الآتي:

الدورات المطلوبة كل دورة تستغرق شهر:

دورة قص ... دورة تجميل ... دورة صبغة ... دورة شنيون ... دورة تجهيز عرائس ... دورة أعشاب

تنويه: إذا تم الحصول على درجة ممتاز أو جيد جداً تمكنك الشهادات الست بدخول صالون تجميل.

الأشياء التي سنعمل عليها لأخذ رخصة لفتح الصالون:

أخذ موافقة مبدئية من دائرة الصحة والنظافة...

أخذ وثيقة تصريح بأن المكان مناسب للعمل وموافي للشروط من البلدية

أخذ تقرير من الإطفائية بوجود نظام ضد الحرائق

استخراج سجل تجاري (تأسيس شركة)

الشروط بعد فتح الصالون:

يجب أن تكون مساحة الصالون 75 متر مربع فما فوق

وجود دورة مياه داخل الصالون

يجب أن يكون المكان مغلق وغير مكشوف للخارج

وجود ماكينات التي تستخدم في هذا العمل وتسمى otoklav

هذه كل المعلومات بالتفصيل الممل ... أنتظر جوابك...

* * * * * * * * * * * * * * * *

وبعد 24 ساعة من تلك اللحظة:

- انتهت المهلة يا ندى ماذا قررت؟
- العزلة عن المجتمع والجلوس في المنزل أمر صعب وممل جدا كما أن مدخراتي بدأت تنفذ لذلك قررت بعد وزن الأمر جيداً أن أعمل معك!
- إذن ستسجلين أولا في الدورات وبهذا تستغرقين مدة ستة أشهر
- توكلنا على الله إذا!
- ونعم الوكيل

* * * * * * * * * * * * * *

استغرقت ندى مدة 6 أشهر لإنهاء الدورات المتعلقة بصالون التجميل، وحصلت على علامات تؤهلها من مشاركة سارة عملها، وبعدها قامتا بشراء محل يبلغ 167 متر مربع وحصلتا على رخص من قبل البلدية ودائرة الصحة وحتى الإطفاء، وكان المحل مستوفي جميع الشروط المطلوبة لبدأ عملهما سويا، وعندما علمت جيهان بالأمر خططت لاحتفال بسيط مليء بالنشاطات الجميلة والمسلية تتويجا للشراكة الجديدة.....

18
تحديات ودّية

في يوم الاثنين الساعة العاشرة صباحا:

- مرحبا ندى كيف حالك؟ وكيف حال شريكتك سارة؟
- أهلا جيهان ... نحن بخير والحمد لله!
- ربع ساعة وسأكون عندكم إن شاء الله
- أهلا وسهلا بك!

في العادة يكون يوم الاثنين هو يوم العطلة الأسبوعية للحلاقين ولذلك كانت جيهان قد خططت ورتبت من أجل المسابقات والتحديات الودية..

فتحت سارة باب غرفتها فلمحت ندى جالسة على الأريكة تتابع مسلسل كوميدي قديم اسمه " مرايا " فقالت وهي تتثاءب:

- صباح الخير ندى!

أطفأت ندى التلفاز ثم قالت وابتسامة مشرقة تعلو وجهها:

- أهلا سارة ... صباح النور، استعدي فجيهان في طريقها إلينا!
- حقا!! هذا جميل

* * * * * * * * * * * * * * * * *

وعند الساعة السادسة مساء:

- حسنا لقد حان الوقت لكي نبدأ بالاحتفال!
- هياااااا!
- واااو

بصراحة كان احتفالا رائعاً بدأ باللعب بأوراق اللعب بلعبة عربية اسمها " أبو الفول "، ثم بالمونوبولي فبدأت تتعالى الأصوات والضحكات المرحة فمن اتهامات ندى لجيهان بسرقة بضع عقارات في اللعبة إلى إفلاس سارة وهكذا إلى أن انتهت اللعبة بفوز جيهان، ومن ثم قامت سارة بوضع أغاني منوعة من عربية إلى تركية إلى فرنسية وهكذا فبدأن بالرقص على الإيقاع فمع أن ندى لم تكن تجيد الرقص فعليا إلى أنها شاركت صديقتيها الرقص وبعد انتهائهن تهالكن على المقاعد الوثيرة من تعبهن...

- والآن ماذا سنفعل يا جيهان؟
- حسنا ... ندى قومي بصنع الفوشار سارة ضعي القليل من المكسرات ريثما أحضّر النسكافيه
- حسنا
- على الفور!!

وبعد انتهائهن من تطبيق أوامر جيهان، جلسن ثلاثتهن على الأريكة ووضعن الطعام والشراب أمامهن بترتيب جميل فهتفت جيهان:

- هل تريدان بعض الإثارة والحماس؟!
- نعم نريد!
- ولم لا!!

حسنا لقد قمت بتنزيل فلم للمحقق كونان تحت عنوان " خيال شارع بيكر"* سنشاهده وبعدها نكمل التحديات

أطفأت ندى ضوء غرفة الجلوس وبدأن مشاهدة الفلم المليء بالحماس والإثارة والتشويق، وعندما انتهين منه ومن الطعام والشراب أيضا بدأت أولا مسابقة الرسم فحازت سارة على المركز الأول، ثم مسابقة الغناء وكانت بالطبع ندى صاحبة الحنجرة الذهبية قد فازت، وبعد الكثير والكثير من التحديات تهالكن جميعا على الأسرّة ونمن من فرط التعب.....

*خيال شارع بيكر: الفلم رقم 6 من أنمي المحقق كونان

19
حالة طارئة!

عندما يقول الله تعالى للشيء كن فسيكون، وليس بمقدور أي أحد تغيير ما كتبه الله له، فعندما يمتثل الإنسان لأمره تعالى ويتعايش مع قدره يبدله بشيء أحسن ويثبت قلبه ليسعى على تحقيق هدفه...

مضت على شراكة الصديقتان ثلاث سنوات دام فيها الوفاق وتعززت فيها روابط الصداقة، وفي صباح بديع من ربيع تقسيم تعالى صوت رنين هاتف ندى ليوقظها من سباتها العميق فتمسك بالهاتف لتفتح الخط ولتقول بهدوء:

- مرحبا ... من المتكلم؟
- ندى!! كيف حالك يا ابنتي
- آه ... أمي بخير الحمد لله، هل حصل شيء دعاك إلى الاتصال بي عند هذا الوقت المبكر؟

وفجأة صمتت الأم ثم ازدردت ريقها وأردفت بصوت مخنوق:

- أيهم يا ندى ... أخوك أيهم في خطر!

وبعد سماع ندى لجملة أمها الأخيرة ارتفع رنين ناقوس الخطر في عقلها فقالت بشيء من العصبية:

- ما به أيهم؟! قولي بسرعة يا أمي لقد شغلت بالي!
- إنه ... إنه مريض ... بفشل كلوي يحتاج لأحد حتى يتبرع له بكليته فهو يقوم بغسيل لكلتا كليتيه في الأسبوع مرتين!

وضعت ندى يدها على فاها لتكتم شهقتها فور سماعها الخبر المحزن، ثم بدأت عبراتها تسقط على وجنتيها بهدوء، وبعد صمت ران لدقيقتين أو أكثر وكانت قد نسيت أمها التي على الخط الآخر، قالت:

- وكيف عرفتي؟ أين هو الآن؟ وماذا سنفعل له؟ أرجوك أخبريني!
- لقد أخبرتنا زوجته بهذا
- زوجته؟! وهل تزوج أيهم؟
- نعم لقد فعل ... وكان هذا معروفها الأخير فبعد أن علمت بمرضه أخذت ابنها وابنتها التوأم وتركته وكعمل إنساني قامت بإخبارنا
- امرأة وضيعة كيف تتركه في هذه الحالة!
- لقد قلت الشيء ذاته، كما أنه الآن في إحدى المشافي العامة الواقعة في دبي، فبعد زواجه في لبنان انتقل مع زوجته إلى دبي
- يا الله!! وما الحل؟؟
- ستذهبين لعنده ... أرجوك افعلي هذا يا ابنتي!
- نعم بالطبع سأفعل سأعتني به ريثما يشفى، ثم أعود إلى تركيا
- فليشفيه الله
- آمين!!

أغلقت ندى الخط ثم رمت هاتفها على السرير، فكانت في تلك اللحظة تشعر بالضياع حقا فكل شيء جرى من دون علمها، استلقت على السرير بإعياء وبدأت تعاود كلمات أمها المرهقة: أيهم تزوج من دون علمها ... أيهم سافر إلى دبي ... أيهم أصبح أبا ... وأخيرا أيهم مريض جدا وحياته في خطر...

كيف حصل هذا من دون سابق إنذار؟! هل هذا هو قدرها بأن تبتلى بضعف وموت ومرض الأشخاص الذين أحبتهم؟! هل ستستطيع تحمل مشقة هذا الأمر؟! هل ستصبر وتسلم لقضاء الله وقدره؟! مليون سؤال كان يراودها لكنها أجابت نفسها جوابا واحدا:

نعم سأفعل!!

* * * * * * * * * * * * * * * *

وبعد تمالك ندى لنفسها اتصلت بجيهان للاستفسار عن كيفية السفر:

- السلام عليكم ... كيف حالك يا جيهان؟
- أهلا ندى ... ما به صوتك؟ هل حصل لك مكروه؟
- أيهم أصيب بفشل كلوي ويجب أن أسافر إلى دبي للاعتناء به
- آه!! فليشفيه الله!، ندى ... هل ستضحين من أجله؟
- أنت تعرفينني أكثر من نفسي ... نعم سأتبرع له بإحدى كليَتَي إن أمكن
- هذا شأنك وليس بوسعي أن أتدخل، حسنا يا حبيبتي ... سأبعث لك رسالة بخصوص حجز تذكرة للطيران ... لكن
- لكن ماذا؟
- لكن أريد منك أن تعديني بأنك سترجعين
- سأرجع إن شاء الله

* * * * * * * * * * * * * * * *

- **المطار الأمثل لرحلتك هو مطار أنقرة الدولي المعروف بآيسن بوغا حيث يخدم هذا المطار العاصمة التركية أنقرة، ويبعد عنها 28 كم من شرقها، وقد تم تصنيفه كأفضل مطارات مدن أوروبا الخاضعة للمواصفات القياسية، كما أنه يخدم عدّة وجهات دولية بالإضافة إلى رحلاته الداخلية لمدن تركيا الأخرى...**
- **حسنا هذا جيد شكرا لجهودك عزيزتي، إلى اللقاء في أقرب وقت ممكن، أحبك كثيرا!...**

الفصل الرابع
_ قضاء وقدر _

20
درس في الأدب

ها هي بطلتنا ندى تجلس على كرسيها في الطائرة المنطلقة إلى الإمارات، تنتظر تعبئة الطائرة كي تنطلق في مغامرة شيقة وهي تتمنى من كل قلبها أن يشفى أيهم وتعود حياته سليمة خالية من أي شيء يعكر صفوها...

كانت تضع غطاء رأس ليس لأنها تحجبت كما زعم بعضهم بل من أجل الصقيع الشديد ونفحات البرد التي تتخلل عظامها، ومع ذلك ظهورها في عين الناس كفتاة محجبة لا يسيء لها أبدا، وبالطبع لم تكن تضعه كما تفعل الفتاة المحجبة بل كانت مهملة الكثير من شعرها فغطت رقبتها ومنتصف شعرها، وكانت تجلس وفي يدها رواية بوليسية اسمها " القاتل الخفي " لأجاثا كريستي، وبينما كانت منهمكة بقراءتها لمحت طفلا صغيرا دون سن السابعة يجلس على المقعد الذي بجوارها لوحده من دون أي أحد، ولم يكن يبدو سعيدا فخاطبته بلغة إنجليزية لطيفة:

- مرحبا ... ما اسمك؟!

* * * * * * * * * * * * * * * *

تبدأ الآن مرحلة الإقلاع وهي أولى مراحل الرحلة الجوية، وهي عبارة عن انتقال الطائرة من الأرض إلى الجو، ولقد تم ذلك بدايةً عندما زاد الطيار من قوة دفع المحركات قدر الإمكان وأطلق الفرامل للسماح للطائرة بالتحرك على المدرج مكتسبة سرعة تسمح لها بمغادرة الأرض، وأثناء صعود الطائرة إلى الجو رُفِعت العجلات لتدخل في جسم الطائرة...

* * * * * * * * * * * * * * * *

نظر إليها الطفل بتعجب بعد تأملها لبرهة ثم أجابها بصوت بريء وبنفس اللغة:

- اسمي عمر
- عمر ... عمر ... اسم جميل جدا، وهل أنت مسلم يا ... عمر!

عقد حاجبيه وأخذ يفكر بصوت عالي تمكنت ندى من سماعه:

- مسلم؟! بصراحة لا أدري، بابا وماما كانوا مسلمين وجدتي أيضا، لكنهم عندما سافروا بعيدا وتركوني لأعيش في كندا مع سوزي وهي لم تكن مثلهم أبدا فلقد وضعتني جدتي عندها قبل أن تسافر..
- هكذا إذا ... وأين هي سوزي؟
- ستأتي بعد قليل

ابتسمت ندى ابتسامة باهتة وهي تفكر في سرها هل هم ميتون وهو لا يعلم؟؟ ولكي تقطع الصمت الذي رام طويلا بالنسبة لعمر قالت:

- وكم تبلغ من العمر؟

قال وهو يعد على أصابعه:

- ثلاثة ... أربعة امممم بهذا القدر

قالها وهو يشير لها بست أصابع...

- آه ست سنوات كم هذا جميل!

وبنما كانت مشغولة عن روايتها بالحديث مع عمر أتاهما صوت غريب لئيم:

- أيها الشقي ... ألم أقل لك بألا تحادث الغرباء!

نظرت ندى إلى المرأة المتكلمة فرأت شابة في الثلاثينيات شعرها مليء بالألوان أشقر، أزرق، وردي، أخضر والكثير أيضا بشرتها بيضاء تحوي القليل من النمش عيناها عسليتان ذات حجم كبير، بالإضافة إلى أنها طويلة القامة نحيلة أو ذات جسم مثالي...

أما عن ملابسها فلم يتبين لندى أبدا أنها جليسة طفل مسلم فكانت ترتدي كنزة بيضاء من دون أكمام وفوقها سترة مطرية بنية اللون بالإضافة إلى شورت بني مع ماكياج من آخر طرز! !

- وليس أي أحد غريب بل إنها إرهابية مسلمة أيضا

تبين لندى أنها تخصها في هذا الكلام فنظرت إليها نظرة ثم قالت:

- عفوا ... من تنعتين بالإرهابية؟؟
- ومن غيرك؟!

قالتها باستهانة وهي تشير إلى ندى بإصبعها من فوق إلى تحت وتكرر نفس الحركة...

- وماا الذي ... دفعك لقول هذا؟!
- كونك تضعين هذا الشيء على رأسك كافي ... كما أنني سمعت الحوار الذي دار بينكما فلقد بدأت أولا بسؤال هذا الطفل الصغير عن الإسلام
- أولا أنا لا أضع غطاء الرأس لأنني متحجبة، ثانيا ليس بإمكانك أنت أو غيرك بفرض دين على عمر فأبويه مسلمين فهو بالتأكيد مسلم كما أن اسمه يوحي بهذا! ثالثا والأهم التزمي الأدب ولا تتجاوزي حدودك لكيلا أجعلك تدفعي ثمن هذا غاااليا
- إذن لماذا تضعينه؟
- لست مضطرة للتبرير فهذا ليس من شأنك
- يا لك من كاذبة!!
- يكفي ... إلى هنا وحسب

نطقت ندى جملتها الأخيرة ثم قامت على الفور باستدعاء مضيفة الطيارة وأخبرتها بأنها تريد التحدث مع أحد ضباط الطائرة وبسرعة هائلة حضر الضابط فخاطبته ندى باحترام:

- صباح الخير سيدي ... هل يمكنني طرح سؤال على حضرتكم؟
- بالطبع تفضلي
- هل العنصرية والإهانة والإساءة مسموحة على متن طائرة من طائرات تركيا العظيمة
- بالطبع لا ... فجزاء من يفعل هذا غرامة مادية أو سجن 48 ساعة

وفجأة امتقع وجه سوزي وتلون مئة لون...

- حسنا إذا إن هذه السيدة..
- لا أرجوك أنا جدُّ آسفة فلم أكن أقصد الإهانة أرجوك سامحيني!
- نظر الضابط إلى ندى ثم قال:
- هل قبلت اعتذارها أم ننفذ القانون؟
- سامحتها هذه المرة فالإسلام يأمرنا بالعفو عند المقدرة، لكن ... إن تماديت مرة أخرى فسيكون أمرها لعدالتكم فورا
- حسنا عن إذنكِ إذا
- تفضل

وبعد أن رحل الضابط نظرت ندى إليها فرأتها تبتسم لها وتقول:

- أنا اعتذر وشكرا لك

لم ترد ندى عليها بل اكتفت بالنظر إلى عمر الذي كان ينظر إليها وابتسامة عريضة تعلو وجهه، وبعد خمس دقائق غادرت سوزي إلى الحمام فهمس عمر:

- لقد كنتِ رائعة يا آنسة ندى فلقد لقنتها درسا لن تنساه أبدا

ابتسمت ندى بدورها ثم قالت:

- إذا أعجبتك المشاجرة!
- كثيراااااا!

ثم أطلقا ضحكة خفيفة سويا، كانت ندى ذات قلب طيب جدا يجاريه لطف وحنان فلم يكن من الغريب لها مصادقة طفل يصغرها بعقود عدة...

21
طيّار من بُعد آخَر

وبعد إقلاع الطائرة بدأت عملية الصعود حيث تتمحور حول تمكين الطائرة من الارتقاء في الجو لتصل إلى ارتفاع معين يصل إلى ثلاثين ألف قدم، لتبدأ حينها عملية التوازن بين القوى المؤثرة على الطائرة، وتمتاز هذه المرحلة بأنها أكثر مراحل الطيران استهلاكا للوقود....

بدأ ضغط الهواء يقل تدريجيا مع زيادة الارتفاع، فزاد هذا الأمر من صعوبة الشهيق عند الركاب وقد لاحظت ندى أنها بدأت تتعب بسرعة أكبر وذلك لأن دماغها وعضلاتها صارت تتلقى كمية أقل من الأكسجين، وبعد خمس دقائق مليئة بالتعب والإرهاق تمت معايرة الضغط داخل القمرة حتى يبقى تركيز الأوكسجين مرتفعا بما يكفي بالنسبة لجميع من على متن الطائرة.

* * * * * * * * * * * * * * * *

وفجأة حدث شيء لم يكن يتوقعه أحد لقد تسمم القبطان المسؤول عن القيادة ومعه مساعده فجأة، أثناء تناولهم لوجبة خفيفة فلم يعد يوجد أحد ليقود الطيارة لكن كان من الجيد أنها محوّلة إلى الوضع الآلي حيث تتمكن من متابعة مسيرها دون قيادة القبطان، ومن ذكاء المضيفة أعلنت فورا عبر مكبرات الصوت لكي يسمع جميع الركاب إشهارها...

- الرجاء إلى من يجيد القيادة أو جزء منها أو التعامل مع الطائرة في حالات الطوارئ إخبار المضيفة التي بجواره لتقوده إلى قمرة القيادة أكرر...

دق ناقوس الخطر من جديد في رأس ندى " من يجيد القيادة؟! " ما الذي تعنيه؟! هل من الممكن أن يكون؟! بالطبع وإن لم يتقدم أحد لن أتمكن من اللحاق بأيهم سيلقى حتفه وسأفقده!!

وفجأة هبّت ندى على قدميها فلاحظها عمر فسألها:

- إلى أين؟!
- سأخبر المضيفة فوراً لتقلّني إلى قمرة القيادة
- هل ستستطيعين فعلها؟
- اعتمد على فحسب ولا تقلق!

قامت ندى بإخبار المضيفة بسرعة فتوجهت معها إلى القمرة الخاصة للقيادة فقالت بلهجة سريعة:

- عمتم أوقاتا ... يمكنكم الاعتماد على بالقيادة لكنني أريد مساعدا متمكنا
- أهلا ... بعض التفاصيل من فضلك

قالت باقتضاب:

- ندى الخطيب، 33 سنة، تعلمت أساسيات الطيران وكيفية التعامل عند حالات الطوارئ من خلال دورة مكثفة في الأردن
- كيف هو نظرك؟
- واحد ونصف في كلتا العينين
- أية أمراض مزمنة؟
- كلا
- جيد لقد نجحت ... تفضلي معنا الآن

وعندما وصلوا إلى قمرة القيادة لم يتمكنوا من فتح الباب لأنه كان موصدا من الداخل...

- ما الذي سنفعله الآن؟

- نادوا المضيفتان نانسي وإيلين بسرعة

أعلن اسم كلتيهما وخلال دقيقة كانتا متواجدتين في المكان المنشود فقال أحد المسؤولين:

- أريد الرمز الخاص لباب قمرة القيادة الذي أعطاكم إياه القائد أندرو
- حسنا ... لحظة واحدة ... تفضل!

أخذه من نانسي بدون أي كلمة إضافية ومن ثم همّ لكي يفتح الباب ومن الجيد أنه تمكن من فتحه فجلست ندى برشاقة على كرسي القيادة وجلست فتاة اسمها لورا كمساعدة لها، وفجأة فقدت ندى كل شجاعتها الوهمية التي تمسكت بها قبل قليل فراودتها فكر جمة:

- كيف تفعلين هذا؟! ألا تعرفين أن حياة مئات الناس أصبحت في رقبتك الآن؟! ماذا لو لم تقدري فعل ذلك؟! ستهلكين مع كل الركاب لا محالة؟! لا لا لا يمكنني فعل هذا!! أين أنت يا جيهان، سارة، أمل، رغد، أمي سمر أين أنتم هل تركتموني أعيش هذه التجربة القاسية لوحدي؟! أرجوكم ساعدوني ...

وبدأت عبراتها تهطل بسخاء، وفجأة أحسّت بيد رقيقة تمسك بيدها وتقول:

- تمالكي نفسك ... فأنا وأنت الآن نواجه نفس المصير، إن الطائرة معرضة للهلاك لا محالة فلم نخسر من هذه التجربة بل من الممكن أن ننجح ونهبط بسلام ... هيا عودي إلى رشدك فسنشكل سويا توأما رائعا!!

نظرت إليها ندى بود فكم كانت تحتاج لثقتها، مسحت دموعها وخلعت غطاء الرأس لتضعه جانبا ربطت كل شعرها ربطة محكمة ثم قالت وابتسامة رقيقة تعلو وجهها:

- سننجح!!
- نعم سننجح!! هيا بنا!

* * * * * * * * * * * * * * * *

استطاعت ندى التحكم بارتفاع الطائرة وسرعتها وثباتها أيضاً من جديد بواسطة مساعدة تعليمات برج المراقبة وبدأت تقطع الكيلو جرامات وتمشي إلى أن .... إلى أن حدثت مفاجأة أخرى " انقلاب الطقس "... فأتتها التعليمات مباشرة:

- انتبهي من المطبات الهوائية ... توجهي نحو اليسار، أقصى اليمين، إلى الأمام، زيدي السرعة، أقصى اليسار انعطفي مرة أخرى خففي السرعة، إلى الأمام مجددا ... حافظي على ثبات الطائرة ... قضي الأمر...

تنفست الصعداء ثم تابعت التعليمات بدقة، فالمطبات الهوائية تعد أكبر مخاوف ركاب الطائرات وهي عادة ما تنتج عن تصادم كتلتين هوائيتين بسرعات مختلفة، لكن الطيار " باتريك سميث* " أكد أنها لا تسب تحطيم الطائرة...

---

*باتريك سميث: مؤلف قمرة القيادة السرية

* * * * * * * * * * * * * * * * *

لقد بقي الآن آخر مرحلة في هذه الرحلة وهي الهبوط في مكان آمن، فبعد تحديد المكان بقي على برج المراقبة إعطاء التعليمات لبطلتنا ندى كي تهبط بشكل سليم.....

- لقد تبقى الهبوط الآن ماذا أفعل؟!
- اخفضي قوة المحركات لتبدأ الطيارة بفقدان ارتفاعها تدريجيا
- تم
- انزلي عجلات الهبوط من جسم الطائرة ليبدأ بالانخفاض تدريجيا وصولا لبداية مدرج الهبوط
- تم
- قومي بالدفع العكسي لخفض السرعة
- تم
- اضغطي على الفرامل حتى تصل الطائرة إلى نقطة الوقوف

- تم
- تهانينا لقد قمت بعمل رائع ! !

تهالكت ندى على مقعدها ثم زفرت بارتياح، تعانقت هي ولورا من شدة الفرحة ثم تهاويت كل واحدة على مقعدها ليفقدوا الوعي من التعب...

* * * * * * * * * * * * * * *

وعندما استيقظت ونزلت من الطائرة رأت فوج من الناس يهم لالتقاط صورها وأجراء مقابلة معها، فعلا لقد أصبحت مشهورة! ! !

لكنها كانت تبحث عن شخص واحد تشاركه فرحتها وعندما لمحته هرولت إليه مسرعة:

- عمر ... لقد فعلتها ! !
- آنسة ندى أحسنت ... لقد وثقت بك ... أنت فعلاً رائعة ! !
- أين سوزي؟!
- إنها تجلس هناك
- حسنا قل لها: انظري كم هو فضل المسلمين الذين تنعتونهم بالإرهاب كبير ... لقد أنقذتك فتاة مسلمة!
- أحب أن أكون مثلك ... مسلم! !
- أنت كذلك!
- حقا ... أراك قريبا
- وداعا
- بل ... إلى اللقاء يا صغيري!

اقتربت نانسي لتقول لها:

- كنتِ رائعة ... ستتصورين مع طاقم الطائرة المتبقي كبطلة ... تعالي معي من فضلك

- انتظري قليلا سآتي

غيرت ملابسها بسرعة في أحد حمامات المطار لترتدي فستانا زهري اللون ثم وضعت غطاء رأس بشكل جيد هذه المرة غطت كل شعرها به وعند انتهائها وقفت لتُلتقط لها صورة، وأرادت أن تكتب جملة تعبيرية عليها فخطت بشجاعة:

الفتاة السورية المسلمة ندى الخطيب تنقذ طائرة محملة بالركاب...

- حسنا ... لقد انتهيت
- أرني ... هذا جميل

لم تكن بعد قد اقتنعت بغطاء الرأس ففور انتهاء حفلة التصوير والمقابلات خلعته لتدسه في حقيبتها من جديد، فلقد وضعته لهدف واحد وهو أن يقدر المجتمع قيمة الفتاة المسلمة الملتزمة وألا يهينوها أبدا....

وها هي بطلتنا ندى تستقل سيارة أجرى فتأخذها باتجاه مشفى شقيقها العزيز أيهم، لتنزل وتقف برهة تتأمل واجهة المشفى الأمامية...

22
سلم رأسُكِ

تقدمت ندى إلى غرفة الاستقبال ثم قالت مخاطبة إحدى الموظفات باللغة الإنكليزية:

- مرحبا ... هل بإمكاني أخذ رقم غرفة المريض أيهم الخطيب؟
- ما الذي تمثلينه له؟
- أخته الكبرى
- هويتك من فضلك!
- تفضلي ها هي
- امممم ... حسنا لحظة واحدة فقط!

وبعدما علمت رقم غرفة شقيقها هرولت مسرعة إلى عنده، طرقت الباب بهدوء ففتحت إحدى الممرضات لها:

- عذرا سيدتي ... السيد أيهم متعب جدا لقد أعطيناه جرعة من دواءه بعد إجراءه لعملية غسل الكلية، وها هو الآن يغط بنوم عميق
- لا بأس لن أوقظه
- أرجوك إن حياته على المحك ونتمنى منك ألا تفعلي شيء يؤدي إلى تدهور صحته
- حسنا
- دقيقة واحدة ريثما ننتهي من إكمال الإجراءات للمريض
- خذي وقتك

لم يتطلب الأمر الكثير من الوقت فبعد لحظات أخلت الممرضات الغرفة لتتسع لندى ولأخيها طريح الفراش، لكن كم كانت الصدمة كبيرة عليها عندما رأته والكثير من الأنابيب موصولة

به لقد فقد صحته ... عادت بالزمن إلى الوراء فلقد مضت سبع سنين ونصف على الحادث وكانت قد رأته بهذه الحالة أيضا ممدد على فراش أبيض وجهه شاحب ونحيل كما تبدو على هيئته مظاهر التعب والإرهاق، بدأت تدعو الله وتبتهل، ليتها تعطيه صحتها وتكون مكانه ليته يشفى ويقوم ويجلس لتحادثه بعد شوق طويل " الله كريم " كانت هذه الجملة تراودها منذ أن رأته، وفجأة فتح عينيه نصف فتحة ففرجت أساريرها ثم همس:

- ندى .... اشتقت لك كثيرا

قالت بصوت مزعزع:

- أخي الحبيب ... عافاك الله وشفاك
- منذ متى وأنتِ هنا
- منذ قليل ... أرجوك لا ترهق نفسكَ بالكلام
- أختي سامحيني بحقك
- ما هذا الكلام يا أيهم؟! ماذا فعلتَ كي أسامحك؟!
- أرجوكِ!!
- سامحك وسامحنا الله أجمعين
- إن مت ... لا تنسيني من الدعاء كما أن وصيتي...
- أيهم ... أطال الله عمرك أرجوك لا تقل هذا أمامي يا ... سندي
- وصيتي في الصندوق الخشبي الموجود في غرفتي مع رسالة ..... لكل فرد من العائلة خذي هذا مفتاح شقتي!

أخذت المفتاح منه بيد مرتجفة ثم أردف:

- ندى ... لقد رأيت حلما ... هذه الليلة
- جعله الله خيرا!!

- رأيت نفسي أذهب إلى عرس لم أعرفه لمن واستطعت الوصول له بسهولة ... ثم بدا أنه عرسي أنا ... لكنني لم أكن متواجد في صالة مخصصة ... بل في مكان شاسع البياض ... وكنت وحيدا لكنني أشعر بسعادة هائلة...
- أيهم!!! هل أنت بخير؟!!! أخي أرجوك تكلم

صمت أيهم فجأة ولم يعد قادر على الحراك وكأنه تجمد في مكانه فبدأت ندى تصرخ بما أوتيت من قوة:

- النجدة ... ساعدوني ... أحضروا الأطباء بسرعة!! أيسمعني أحد؟؟! أرجوكم لا تدعوا أخي يموت!! هياااااا

* * * * * * * * * * * * * * * *

- آنسة ندى الخطيب ... سلم رأسكِ!!

صعقت ندى فهل هي الآن متواجدة في أحد أفلام الأكشن أم ماذا؟! كيف يقول لها هذا هل يستسلموا ويتركوا أيهم يلقى حتفه فقالت بعدم استيعاب وكأنها جنّت أو فقدت عقلها:

- لا لا لا!! لا يمكن أيهم لا يترك أخته وحدها أيهم أرجوك قم أرجوك تعال إلى هنا .... أرجوك لا تمت أرجووووك!!! ... أتوسل إليكم عالجوا أخي خذوا قلبي وضعوه له أتوسل إليكم لا تتركوه يموت ... يا رب ساعدني يا رب لا تدع أيهم يتركني لا تدعه يموت يا رب يا الله .... آه أيهم لا تمت!!
- آنسة ندى كفى أرجوك تمالكي نفسك
- دعوني ... دعوني ... دعوني هل فشل طبكم الحديث الآن؟! هل أصبحتم غير قادرين على علاج مريض مصاب بفشل كلوي؟! ماذا فعلتم لأيهم!! ماذا فعلتم لحبيب قلبي ماذا فعلتم لسندي؟؟!.....
- آنسة ندى ... آنسة ندى ... لقد فقدت وعيها انقلوها بسرعة إلى غرفة وضعوا لها سيروم هيا

- حاضر

وبعد نقلها اتصلوا بآخر رقم شخص كانت قد حادثته فكانت سارة من وقع عليها الاختيار وفور علمها بالخبر الحزين حزمت أمتعتها وحجزت طائرة في أقرب وقت ووصلت إلى عندها بعد يومين وكانت مازالت تحت الصدمة...

وبعد استعادتها لصحتها تدريجيا استأجرت سارة منزل لتجلس به مع صديقتها مؤقتا...

23

نتساؤل؟

يرحل الرّاحلون والحياة تستمر، هذه سنّة الحياة..

رحل أيهم وانطوت السنون على غيابه، كانت ندى قد انكسرت منذ فقدانه لكن ليس باليد حيلة فهذا هو تقدير الله تعالى ولاريب بوجود حكمة في هذا فلقد أراحه من عذابه وألمه، فطوبى له ولمن سبقنا إلى دار البقاء..

جلست ندى على الأريكة في غرفة المعيشة الواقعة في منزل الإيجار، قلّبت في إحدى الروايات التي كانت قد قرأتها مسبقا مما تبين لها أن معظمها يحمل نهاية تعيسة أو حزينة مثل قصتها تماما أو حتى قصتها كانت أكثر تعقيدا؛ فتاة سورية مسلمة تعيش في سورية تعمل كمعلمة في اللغة الفرنسية وتواجه العديد من المشاكل في وطنها الغالي ثم تنتقل إلى لبنان على أساس أنها ستعيش وأخوها مؤقتا فيها، لكن بداية سفرها كانت حادثا فظيعا ثم حريقا مريعا، وبعد لبنان سافرت إلى تركيا فأصبحت الحياة في تركيا هادئة ورتيبة وأيضا مليئة بالجولات السياحية وروابط الصداقة وماذا بعد؟؟! تعلمها أمها بمرض أيهم فتسافر عبر الطائرة لإنقاذه لكنها وفي الوقت ذاته تصبح قبطان لطائرة محملة بمئات بل بآلاف الركاب، فعلا يا لعجائب القدر!! وأخير وليس آخرا تحط بالطائرة في إحدى مطارات دبي فتهرع لرؤية أيهم وعندما تراه مسجا على السرير الأبيض الخاص في المشفى وتحادثه ويطمئن قلبها لحالته ينتهي المطاف بوفاته فجأة!! وها هي الآن ما زالت في دبي وفي منزل إيجار مع صديقتيها أو لنقل مع جيهان فسارة تأتي مؤقتا ثم ترحل لتتابع عملها الذي تخلت ندى عنه منذ علمها بمرض أيهم، وللتوضيح عن كيفية استئجار هذا المنزل سنعلمكم بالتفاصيل؛

فبسبب المال الذي حصّلته ندى من عملها القديم وبعض المساعدة من سارة وجيهان تمكن من استئجاره وهكذا....

- إلى أين وصلت في التفكير؟؟

قطع صوت جيهان سلسلة أفكارها كما أنه أفزعها قليلا فبعد هدوئها من جديد ردت باقتضاب:

- ما زلت أجلس هنا؛ ولم أصل بعد!
- امممم ... حسنا إذا لا بأس؛ لدي سؤال
- تفضلي
- هل ستبقين في دبي أم أننا سنرجع إلى تركيا؟؟
- سؤال جيد، فأنا سأرجع لكن ليس كليا لأنني قررت النزول كزيارة إلى سورية ثم السفر مؤقتا إلى تركيا لإنهاء جميع الأمور التي باتت معلقة بسبب سفري المفاجئ وأخيرا سأعود إن شاء الله لأستقر في حضن الوطن فلقد سئمت من الغربة المؤلمة!
- معك حق! وأنا سأكون معك لأقوم بإنهاء جميع أموري في تركيا ولأبيع منزلي أيضا وأخيرا أستقر عند عائلتي التي ابتعدت عنها منذ شبابي!

ابتسمت ندى بصعوبة ثم همست:

- حسنا إذا ... كما تشائين!

24
تقاطُع طرق

بعد الدعم الكبير لندى من صديقتيها استطاعت تمالك نفسها والرجوع إلى حياتها الطبيعية فمع أنها ما زالت تخفي جروح كبيرة في قلبها يصعب معالجتها إلا أنها عادت أدراجها لتجد نفسها في إحدى مدارس دبي كمدرسة في اللغة الفرنسية من جديد لكنها استلمت مرحلة الابتدائي مؤقتا:

وفي يومها الأول ... في فصل طلاب الصف الثالث بناتاً وصبيانا:

- صباح الخير ... أنا اليوم معلمة اللغة الفرنسية أتمنى لكم حظا طيبا فأنا فقط أريد بعض النظام والهدوء وأعدكم أني سأفعل أي شيء تطلبوه مني إن كان معقولا!

وفجأة صرخ أحد الطلاب بصوت طفولي بريء:

- آنسة ندى ... البطلة الخارقة!
- عمر؟!! أنت هنا؟!!
- يا لها من فرصة رائعة أن تكوني معلمتي
- آه لقد مضت ثلاث سنوات على لقائنا الأخير لقد أصبحت رجلا!
- شكرا لك يا آنسة!
- حسنا يا عمر نتكلم في الفرصة إن شاء الله ... والآن سأخبركم بالخطة التدريسية للغة الفرنسية لهذه السنة
- حاااضر!

ابتسمت ندى بلطف فكم كان من الرائع أن تلقى عمر مجددا ذلك الطفل البريء الذي أمدّها بجرعة تفاؤل كبيرة أثناء تواجدهما معا في الطائرة، هل يا تراه يستطيع التخفيف من آلامها الآن؟! كما أنها أصرت أنها ستعرف قصته وستبدأ اليوم ... في الفرصة!

حسنا يا طلابي الأعزاء أصغوا إلى ما سأقوله جيدا ها قد دونت مخططا على السبورة وأقرأه لكم:

سنتعلم الحروف كتابة ونطقا ... وسنحفظ أغنية الحروف معا!

سنتعلم الأرقام من واحد إلى عشرة

سنتعلم أسماء الإشارات الخاصة بالعمليات الحسابية

سنتعلم أسماء الأشكال

سنحفظ سويا: أغنية الأرقام وأغنية الأشكال لتأديتها كفقرة لصفكم في حفلة المدرسة!

سنتعلم الألوان مع أغنية جميلة عنهم!

سنحفظ أسماء الأدوات المدرسية

سنحفظ أغنية " الأشخاص السعداء "*

سنحفظ أسماء المهن

وأخيرا سنعمل مراجعة مكثفة على ما تعلمناه بالإضافة إلى اختبار جزئي واختبار كلّي...

LA BALLADE DE GENS HEUREAUX*

* * * * * * * * * * * * * * * *

وأثناء الفرصة كانت المعلمة ندى تتمشى مع طالبها النجيب عمر وفجأة توقف لكي يسألها:

- آنسة ندى ... كم عمرك؟!
- لقد هرمت يا صغيري ... إن عمري الآن 36 سنة!
- آه جيد ... ما زلت صبية!

- لماذا تسأل يا عمر؟!
- شيء ... كنت أريد أن أعرف إن كنت سأفقدك بسرعة مثلما فقدت عائلتي أم لا
- وأين عائلتك؟
- جميعهم مسافرين لمكان بعيد لا أعرفه ... هكذا قالت لي سوزي
- لا تخف يا عزيزي سأظل معك إن شاء الله إلى أن تصبح رجلا شجاعا
- ألم تقولي في الفصل منذ قليل أني أصبحت رجلا؟!
- بلى لقد قلت ... لقد أصبحت رجلا صغيرا ولكنك عندما تجتهد في الدراسة وأمور الدين والحياة الاجتماعية حينها ستصبح رجلا كبيرا، اتفقنا؟!
- ومن سيعلمني كل هذا؟
- ستعرف فيما بعد ... أريد منك مهمة صغيرة الآن
- وما هي؟! أنا مستعد لأي شيء!!
- هل تملك رقم سوزي؟!
- نعم سأدونه لك على ورقة انتظريني قليلا!
- حسنا ... أنا بانتظارك

غاب قليلا ثم رجع ومعه قصاصة ورقية كتب عليها الرقم:

- شكرا لك يا بطل
- عفوا

ومن ثم تابعا السير في باحة المدرسة إلى أن بادرت ندى بالسؤال هذه المرة:

- عمر ... ماذا تريد أن تصبح في المستقبل؟!
- مبرمج!!
- بهذه السرعة ... أظن أنها مهنة رائعة حقا! أنصت إلى قليلا
- ماذا؟

- إن هذه المهنة تحتاج إلى اجتهاد ومثابرة وتميز هل أنت مستعد لهذا؟!
- نعم بالتأكيد!
- قل إن شاء الله!
- امممم ... إن شاء الله

لم يفهم عمر العبارة التي رددها لكنه قالها على مضض من أجل ندى، بالإضافة إلى أنه كان لا يعرف شيئا عن دينه فهو مسلم بالاسم فقط!!

قررت ندى أنها ستجعل منه رجلا متميزا بما أوتيت من قوة وتمنت أن تساعدها سوزي ... ولا ندري ما الذي يخبئه الدهر من مفاجآت لربما تتعلم سوزي أيضا مع عمر لكن هذه النقطة كانت إشارتها خفيفة عند ندى فلم تكن تعلم من هي سوزي إلى تلك اللحظة!!

25

تفاعل!!

- مساء الخير ... كيف حالك آنسة سوزي
- عذرا ... من المتصل؟
- أنا ندى الخطيب ... معلمة اللغة الفرنسية الخاصة بعمر
- آنسة ندى؟! حادثة الطائرة ... غطاء الرأس ... أليس كذلك؟!

كان صوت سوزي مفعم بالدهشة مما جعل ندى تطلق ضحكة خفيفة ثم تتابع برزانة:

- نعم أنا بالذات ... كيف حالك؟
- يا لها من فرصة رائعة أن أحظى بالتكلم مع مشهورة مثلك ... أنا بأتم الصحة والعافية!!
- جيد ... إن اتصالي بشأن مسألة عمر
- ما به عمر؟! هل أساء التصرف؟
- لا ... لا لم يفعل ... لكنني أريد موعدا إلى منزلك فهناك الكثير من الأشياء التي ستخبرينني بها
- أخبرك بها؟؟ حسنا بإمكانك المجيء متى شئت
- يوم السبت في عطلة نهاية الأسبوع الساعة الرابعة عصرا ... هل يناسبك الموعد؟!
- امممم ... نعم يبدو لي مناسبا!
- حسنا إذا أراك بعد غد
- اتفقنا
- إلى اللقاء

- مع السلامة!

* * * * * * * * * * * * * * * *

" ندى ... الطعام على المائدة تعالي بسرعة!! "

اجتمعت الفتيات الثلاثة من جديد في هذا اليوم وكان يوما ممتعا نسيت ندى فيه أوجاعها، فسارعت ندى لتلحق صديقتيها وتجلس معهم على طاولة العشاء، لتبدأ جيهان الكلام:

- حمدا لله ... أراك سعيدة اليوم!

تنهدت ندى وكانت قد رسمت على وجهها ابتسامة مضى زمن طويل على مثالها:

- وفي غاية السعادة!!

غمزتها سارة وهي تقول:

- وما السبب؟!
- طالب في الصف الثالث ... هل تعلمون إنه عمر بذاته
- عمر ... الطائرة؟!
- نعم ... لقد رسمت مخطط لأجعل منه شخصا متميزا وستعينني مربيته

قالت سارة في توجم:

- لا تقولي سوزي ... تلك اللئيمة!
- بلى ... لكنها لا تبدو كذلك أظن أن معدنها جيد، لكنها تحتاج لدورة تأهيل من جديد وسأكون أنا من سيفعلها!
- ماذا ستفعلين؟!
- سأذهب يوم السبت القادم إلى منزلها لتخبرني بقصة عمر، أين أهله؟ ما هو مسار حياته؟ ولتخبرني بعض المعلومات عنها أيضا، وبعدها أبدأ في العمل
- وما هي نقاط عملك؟!

- تعليم عمر بشكل مباشر وسوزي بشكل غير مباشر أمور دين الإسلام، لغات جديدة، وبعض دروس الأخلاق بالإضافة إلى أنني سأحاول إيجاد نشاطات وأمور تنمي قدرات عمر وتمضي أوقات فراغه!
- هذا جيد ... كصدقة جارية!
- لكنه سيظل مبدئيا سرا بيننا ... حسنا
- حسنا

26
تعارف

ها هي عقارب الساعة تقترب من الثانية والنصف لقد بقي ساعة ونصف على موعد ندى مع سوزي وعمر، أخذت ندى حماما سريعاً لتنشيطها ثم لبست فستانا خمري اللون ضيق من الأعلى وعريض من الأسفل يصل طوله إلى حد الركبة بالإضافة لاحتوائه زنارا رقيقا ذهبيا لامعا، فكان لون ملابسها مثالي ومتناسق جدا مع لون بشرتها البيضاء وعينيها الزرقاوين ومع شعرها ذو اللون الأشقر الداكن التي كانت قد أطلقت له العنان لكي يسدل على كتفيها مع القليل من الحلي الصغيرة الذهبية وعندما أعلنت الساعة عن الثالثة والربع كانت ندى قد تجهزّت تماما فأتت جيهان لتبدأ بمشاكسة حبيبتها ندى:

- أراك انتهيت أرني ... واو ما هذا الجمال يا ندى حفظك الله من العين الحاسدة
- لقد أردت أن أبدو متألقة ... فكما تعرفين يهمني كثيرا الانطباع الأول
- إنه الانطباع المليون!! عن أي أول تتحدثين؟!
- كفاك جدالا أنا أريده هكذا وانتهى ... والآن رافقتك السلامة
- انتظري!!

قالتها وهي تسحبها من يدها وتوجهها نحو المطبخ:

- اجلسي هنا
- على مائدة الطعام!! لماذا؟!
- ريثما أحضر لك كوبا من الكاكاو الساخن
- آه أنت مذهلة!!
- طبعا يا حبيبتي طبعا

* * * * * * * * * * * * * * *

استقلت ندى سيارة أجرة كي توصلها لمنزل عمر لكنها لم تتوقف عند منزله بل نزلت عند متجر ألعاب موجود قرب منزله فاشترت له سيارة تتحرك لاسلكيا ومجموعة قصص للأطفال من المكتبة المجاورة ومن ثم صعدت بواسطة المصعد إلى الطابق الثالث عشر وضغطت على الجرس ففتح لها عمر الباب:

- آنسة ندى ... أهلا بك!!
- كيف حالك يا عمر؟! هل سوزي هنا؟
- نعم ... تفضلي إلى غرفة المعيشة فهي بانتظارك
- حالا

دخلت ندى إلى غرفة المعيشة فوجدت سوزي ممسكة هاتفها المحمول وتتشاغل بالعبث به لكنها عندما لمحت ندى تدخل تركته مسرعة لتهب وتسلم على ندى بحفاوة:

- مدام ندى ... أهلا بك شرفتينا
- آنسة ندى من فضلك
- كما تشائين ... كيف حالك لقد اشتقنا لك

ثم صافحتها وقبلتها أو بالأحرى قبلت الهواء وليس ندى!!

- تفضلي اجلسي!
- شكرا

جلست ندى مقابل سوزي ثم همت سوزي لتضع أمامها الضيافة التي كانت قد جهزتها مسبقا لكن ندى لم تكترث لضيافتها بل هتفت لعمر:

- يا عمر ... عندي لك مفاجأة!
- مفاجأة!!

ركض إلى عندها مسرع فأعطته الكيس الموجود فيه المشتريات:

- هذه لي؟!! شكرا جزيلا لك
- لا شكر على واجب أتمنى أن تعجبك

ثم هرول إلى غرفته خوفا من أن يشاركه أحد بها وطالعها وحيدا فأعجبته كثيرا!

- حسنا يا سوزي ... أخبريني الآن كل شيء عنك وعن عمر من فضلك ولتبدئي بعمر
- نعم سأفعل!

عدّلت سوزي جلستها ثم رسمت على وجهها ملامح جدية وعندها بدأت روايتها:

* * * * * * * * * * * * * * * *

- "عمر موفق"، من مواليد 2013 أي أن عمره الآن ثمان سنوات كما أنه يتيم الأبوين فلقد توفي والداه في حادث سيارة مروع في الوقت الذي كانوا فيه قاصدين التسوق بينما كان ينتظرهم عند جدته المسنة وكان عمره آنذاك خمس سنوات فأخبرته جدته أنهم سافروا بعيداً جدا من أجل العمل فاقتنع فورا بسبب صغر سنه، ولكنه عندما كبر أكثر فأكثر بدأ يتساءل عن سبب غيابهم وكل مرة كانت تختلق فيها عذرا جديدا فهو إلى حد الآن لا يعلم الحقيقة....

مرضت جدته _ والدة أبوه_ مرضا شديدا فأمنته عندي ثم لقيت حتفها هي الأخرى...

- أمنته عندك؟! ومن تكونين أنت بالنسبة له؟
- سوزان عيسى ... عمته
- عمته وكيف هذا؟!!
- قد يبدو الأمر غريبا بالنسبة لك فأنا أحمل شهرة غير لكن لا تستغربي، فجدته أصبحت أمي بالرضاعة، وهكذا أصبح أنا ومروان والد عمر أخين بالرضاعة وبالتالي أنا عمة عمر وبما أنني غير متزوجة وليس لدي أولاد كما أنني متفرغة كثيرا

فأمنتني جدته به فقد كانت تحبني كثيرا وبالتأكيد ستفعل هذا فأنا أصبحت ابنتها أيضا كما أنني ابنة صديقتها المرحومة سميّة..

- حسنا إذا أنت مسلمة ... وكيف تلبسين هكذا؟!
- سأخبرك كيف...

بعد أن عشت أنا وعمر سنتين في مصر فنحن من هناك قررت أن أسافر إلى كندا فلقد اشتدت الأوضاع المعيشية الصعبة هناك ومع أنني كنت ألبس مثلك تقريبا في مصر أو أكثر فكانت ملابسي فضفاضة نوعا ما ومستورة إلى أنني تغيرت كثيرا عندما سافرت لأنني أصبحت أعيش في عالم منفتح ولباسي المستور أصبح أقيادا وأغلالا لي هناك، فقررت أن أتحرر من أغلالي وغيرت مظهري تماما...

- هكذا وبكل سهولة؟!!
- نعم، فكنت أود العيش في هناء مع عمر من دون إزعاج أحد أو إهانة أحد لي وبعدها غيرت اسمي من سوزان إلى سوزي فبدا هذا الاسم أكثر جاذبية بالنسبة لي وللكثير من أقراني أيضا....
- ولماذا كنتما متواجدين في تركيا؟!
- من أجل السياحة ... والترفيه لكنني أردت تدريسا جيدا لعمر في بلد مسلم فقررت أخيرا العيش في دبي إلى أجل غير مسمى وهذه السنة الدراسية الثالثة لعمر هنا....
- وعمر ألا يعرف أنك عمته؟!
- بلى لقد أخبرته لكن على شرط أن يظل سرا بيننا
- لماذا؟!
- أن أبدو جليسة طفل مسلم خير من أن أبدو عمته
- تفكيرك هش جدا ... هل ترضين فعل أي شيء يغضب الله بهدف معرفة الناس أنك منفتحة ولا يهمك الإسلام

- آنسة ندى ... أرجوك لا تمثلي أنك عالمة فقه ودين فكلنا نمتلك ذنوب وأنت لست أفضل مني بشيء بل كلنا سواسية...
- كلامك خاطئ لأنه.....

قطع حديثهما المشحون أو شجارهما الهادئ بالأحرى صوت عمر المحبب لقلب ندى وهو يقول:

- آنسة ندى الهدية جميلة جدا ... شكرا مرة أخرى!!
- أين كنت يا بطل ... تعال واجلس معنا لنتحدث قليلا
- حاضر

نظرت سوزي أو لنقل سوزان نظرة استياء فغمزتها ندى لتنهي الشجار مؤقتا ثم قالت لتسمع كليهما:

- نعم يا سوزان قولي لنا الآن ما هي مواهب عمر وميزاته وأشياءه المفضلة؟!

قالت سوزان وهي تبتسم وتنظر إلى عمر:

- دعيه يخبرك بنفسه فالسماع منه أفضل بكثير من شهادتي فهو متميز جدا في الحوار ... عمر حبيبي اتبع أسلوب الحوار الذي علمتك إياه!
- حسنا

قص عليها عمر كل شيء حول شخصيته من هواياته المفضلة إلى لونه المفضل ثم إلى رياضته المفضلة وبعدها طعامه المفضل، وظل يحكي ويحكي إلى أن فرغت جعبته من كل الكلام وبعد القليل من الجلوس أيضا قالت ندى جملتها الأخيرة:

- حسنا يا عمر لدي لك فكرة رائعة
- وما هي هذه الفكرة؟!
- ما رأيك أن أعلمك أمور الدين وأشياء ثقافية أخرى بالإضافة إلى اللغة الفرنسية؟

صمت قليلا بينما ابتسمت سوزان مما تبين لندى أنها حبذت الفكرة وأخيرا قال عمر:

- وهل سأصبح رجلا كبيرا بهذه الطريقة؟
- بالطبع وسيحبك الله تعالى
- حسنا إذا موافق

وعدته بلقاء آخر ثم حيتهم وانطلقت إلى منزلها...

27
صدقة جارية

انتهت ندى من دوام المدرسة، ارتاحت قليلا ثم ذهبت إلى منزل عمر مرة أخرى...

- مساء الخير ... هل أنت جاهز لنبدأ؟
- نعم أنا مستعد!

جلست ندى مقابل عمر بينما جلست سوزان تتابعهم عن بعد وبهدوء شديد، فتحت ندى هاتفها المحمول ثم وضعت أكثر من فيديو حول كيفية الصلاة " تعلم مع زكريا ... تعلم مع نور ... المسلم الصغير..." فشاهدتهم مع عمر فكانت قد حمّلتهم مسبقا لفتحهم بسهولة وبعد انتهائهما من مشاهدة الفيديوهات بدأ النقاش والحوار المليء بالأدب والاحترام:

- حسنا يا عمر كم عدد الصلوات التي علينا أداؤها؟
- 5 صلوات الفجر، الظهر، العصر، المغرب، العشاء
- وما الخطوات التي يجب علينا اتباعها قبل الصلاة؟
- الوضوء ... العلم بدخول وقت الصلاة ... لبس ملابس مناسبة ... وأخيرا استقبال القبلة
- أحسنت يا بطل ... والآن هيا لتتوضأ
- حاضر

توضأ عمر مع بعض المساعدة من ندى، ثم فتحت هاتفها المحمول لتحديد اتجاه القبلة من خلال تطبيق عليه ثم سألت:

- هل لديكم سجادة للصلاة؟
- لا ليس لدينا

- من حسن الحظ أن معي واحدة!

وقفا سويا لأداء صلاة المغرب، وعند انتهائهما ألحّت عليها سوزان أن تتناول طعام الغداء معهم فبعثت برسالة لجيهان تخبرها بأنها لن تتناول طعام الغداء معها ثم جلست لتناول الطعام معهما وكانت فرحة عمر كبيرة فلقد تعلم الصلاة، فقال لها على الغداء:

- آنسة ندى ... كيف أعلم أنه حان موعد أداء الصلاة؟
- هل لديك هاتف محمول؟
- نعم بالطبع
- حسنا أعطني إياه بعد الغداء لكي انزل لك تطبيقا للأذان فعندما يحين موعد الصلاة تسمع صوت الأذان من هاتفك
- هاا هذا رائع ! !

انتهت من غدائها ثم حمّلت له التطبيق وبعدها عادت إلى منزلها، كانت متعبة للغاية فبعد صلاة العشاء غطّت بنوم عميق...

28

كابوس

مكان مظلم ومخيف يخرج منه فجأةً رجل طويل القامة يرتدي ملابس بيضاء وجهه يشع نورا ويمتلك جناحان كبيران ليقف مقابل ندى فتهرع وتقول:

- حبيبي أيهم ... هل رجعت إلى ... كم اشتقت لك!

يصمت ولا يجيبها ويستمر بالنظر إليها نظرة عتاب...

- أيهم أرجوك تحدث إلى ... أرجوك!

يصمت مجددا ولا يرد...

- أيهم ... ماذا فعلت؟ لماذا تعاتبني؟

وبعد صمت رهيب يقول لها بصوت وقور:

- الوصية يا ندى ... الوصية لماذا نسيتها لماذا غفلت عنها لماذا؟؟؟
- أيهم أرجوك ... أيهم اسمعني
- يتركها ويطير بعيدا...
- أيهم ... لا تتركني ... أيهم!!

* * * * * * * * * * * * * * * * *

استيقظت ندى من كابوسها وهي تصرخ باسم أخيها فصحيت جيهان وهبّت إلى غرفتها خوفا عليها، بينما كانت جملة أيهم تتكرر على مسامع ندى:

" الوصية يا ندى ... الوصية "

- حبيبتي ندى هل أنت بخير؟! لماذا تصرخين؟؟

اجهشت ندى في بكاء مرير ثم قالت:

- لقد نسيت فتح وصية أخي أيهم ... لقد أمنني بأن أفتحها لكنني غفلت عنها ... يا لغبائي!!
- أرجوك اهدئي ... تذهبين غدا وتريها غفر الله لك
- وكيف سأذهب؟؟ ماذا عن دوام المدرسة؟
- أوصلك أنا إلى منزله بعد دوام المدرسة مباشرة
- سأتأخر هكذا!
- لا ... سأنتظرك عند باب المدرسة عندما ينتهي دوامك وسننطلق من المدرسة إلى بيته فورا
- حسنا
- والآن عودي إلى فراشك ... تصبحين على خير
- وأنت من أهل الخير

مسحت دموعها ثم غطت في نوم عميق..

29
ما قبل الوصية

استيقظت ندى الخطيب في الصباح الباكر لتبدأ بالاستعدادات من أجل الذهاب للمدرسة، أخذت حماما سريعا ثم لبست كنزة بيضاء نصف كم زينت ببضع زهرات مطبوعة عليها بإتقان أدخلتها ببنطال جينز فاتح ضيق من الأعلى وعريض بعض الشيء من الأسفل، وبعدها ارتدت معطف جينز فوق الكنزة أيضا وآخر شيء عقدت شعرها ولبست ساعتها الفضية التي تحتوي ألماس على شكل فراشات وكانت سارة قد أهدتها إياها في ذكرى ولادتها الثلاثون... خرجت من غرفتها إلى المطبخ مسرعة لتدهن على قطعة توست شوكولا بالبندق وعلى الأخرى شوكولا مرّة تناولتهما مع قدح من الكاكاو الساخن، ثم هبّت مسرعة عندما أعلنت الساعة عن الثامنة لتنطلق فلبست حذائها الرياضي الأبيض النظيف وعندما أرادت الخروج سمعت صوت جيهان تخاطبها وهي تتثاءب:

- هل ستذهبين الآن ... انتظري دقيقتان لأوصلك
- لا ... شكرا لك سأستقل سيارة أجرة
- تحبين تعذيب نفسك ... كما تشائين
- عودي إلى فراشك الآن ... السلام عليكم
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ... لا تتأخري، أتمنى لك يوما جيدا

ابتسمت ندى لإطراء صديقتها ثم خرجت وطلبت المصعد ... انتظرت وانتظرت لكن المصعد لم يحضر وبعد الكثير من المحاولات قال لها جارها العجوز الذي في السبعينات من عمره:

- لا تنتظري يا ابنتي عبثا ... المصعد معطل
- ماذا!!

تابع الرجل مسيره بينما قطبت ندى حاجبيها وهي تفكر وبعد تفكير قليل نزلت على الدرج من الطابق الحادي عشر حتى الطابق الأرضي وكانت تتصبب عرقا، وبعد خروجها من المبنى طلبت سيارة أجرة وعندما وصلت إلى المدرسة خاطبها العجوز صاحب السيارة:

- 20 درهم من فضلك

همّت ندى لكي تعطيه النقود لكنها تفاجأت عندما علمت أنها لا تملك سوى 10 دراهم في حقيبتها فقالت بخجل بدا واضحا من صوتها المزعزع:

- آسفة يا عمي ... لا أملك سوى 10 دراهم!

نظر العجوز إليها نظرة إشفاق ثم قال بأدب:

- حسنا إذا عشرة دراهم تكفي

أعطته ما تبقى معها من نقود ثم همست بأدب هي الأخرى:

- شكرا لك يا عمي ... فليكثر الله من أمثالك وليرزقك
- آمين ... آمين يا ابنتي

نزلت ندى من السيارة وهي تشعر بقدر كبير من الخجل فكم كان موقفها محرجا دخلت إلى عند طلاب الصف السادس لتعطيهم درسا وعندما كانت تود الكتابة على السبورة تقيء القلم حبره الأزرق على معطفها الجميل فأحست بالغضب والذعر في آن واحد بينما ضحك جميع طلاب الصف عليها حدجتهم بنظرة صارمة فصمتوا، لكن معهم حق فالأحداث التي جرت معها اليوم إن عرضت بفيلم كوميدي ستنال الكثير من الضحك والإعجاب، خلعت معطفها ودسّته في حقيبتها ثم أكملت يومها مع أحداث مضحكة بسيطة، أغلقت الدرج على أصابعها، سكبت الشاي على الرواية التي أعارتها إياها إحدى المعلمات، داس إحدى طلاب المرحلة الثانوية على قدمها عن طريق الخطأ مما آلمها كثيرا وجعل حذائها الأبيض يتسخ،

وعندما خرجت وجدت جيهان تنتظرها بسيارتها البورش الفخمة وابتسامتها العذبة التي خففت من متاعب النهار عن قلبها...

- أسعد الله أوقاتك... إلى أين الآن؟
- إلى منزل أيهم ... الواقع في.....

أخبرتها بموقع المنزل ثم انطلقتا مسرعتين إليه من أجل تنفيذ الوصية.....

30
الوصية

بينما كانت ندى تجلس في السيارة صحبة صديقتها لم تنسى الصغير عمر مطلقا فبعثت ببضع رسالات لسوزان:

* مرحبا كيف حالك ... قولي لعمر أنني لا أستطيع زيارته اليوم لكنني سأبعث معلومات الدرس لك
* سنتحدث اليوم عن سورة الفاتحة التي هي أول سورة في القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين

صدق الله العظيم

* سورة قصيرة سهلة الحفظ ... كررها من أجل حفظها شفهيا أولا ثم تدرب عليها كتابيا واعتبرني بالقرب منك
* ولا تخف فإن شاء الله عندما أكون متفرغة سأزورك وعند انشغالي سنتواصل عن بعد
* وهذه بعض الفيديوهات المساعدة لتعليم وتحفيظ سورة الفاتحة استمع إليها جيدا ولا تنسى التطبيق
* أتمنى أن تحفظها لتقرأها بالصلاة في كل ركعة ومن ثم نكمل سورة وراء سورة
* أسعد الله أوقاتكم ... إلى اللقاء!

****

توقفت السيارة عند منزل أيهم فنزلت ندى بصحبة جيهان، ثم صعدتا إلى الطابق الرابع عن طريق المصعد وأخيرا أدارت ندى المفتاح بداخل القفل ففتح الباب على مصراعيه، وبعدها دلفتا بهدوء وسلّمتا على المنزل لغاية ما ثم وصلتا إلى غرفة أيهم، ففتحت ندى الدرج الخشبي الذي يحتوي الوصية ثم عانقتها بشدة وتحسستها بكل عناية وآخر شيء فتحتها بعيدا عن جيهان فكانت جيهان لا تحب إقحام نفسها بخصوصيات الآخرين وأخيرا وليس آخرا قرأت محتواها بشوق مرير:

السلام عليكم أختي الحبيبة ندى الغالية على قلبي، إن كنت تقرئين وصيتي هذه فهذا يعني أني مت، لا أعرف لماذا أخاطبك شخصيا ولكنني كنت أعلم أنك لن تتركيني مريضا لذلك اعتمدت عليك في تنفيذ الوصية

أولا: تركت لك في هذا الصندوق مبلغا نقديا قدره 600 دولار أريد منك أو من قارئ وصيتي أيا كان، استغلاله في صدقة جارية أنتفع وأنفع الناس بها

ثانيا: أريد منك زيارة زوجتي وأولادي وإعطائهم الأكياس ذات اللون البرتقالي الموجودة في خزانتي كما أنني أريد منك توطيد العلاقة بينكم

ثالثا: حادثي أمي وحثّيها على الدعاء والمغفرة لي، وادعي لي أنت أيضا

رابعا: اسكني يا ندى في المنزل خاصتي فزوجتي ليس لها أي حق فيه كما أنها ليست زوجتي من بعد الآن فها هي تركتني عند علمها بمرضي وطلبت الطلاق ولا أعلم لماذا ما زلت أنعتها بزوجتي المهم سيكون منزلي أفضل من منازل الأجرة

جمعنا الله وإياكم في الجنة فلعلها تكون من نصيبنا، السلام عليكم يا حبيبتي

* * * * * * * * * * * * * * * *

اجهشت ندى في بكاء مرير فلقد كان يخاطبها في وصيته وهو لا يكف عن مدحها وثناءها مع أنه كان يواجه مرض عقيم يفتك في جسمه، ضمت الورقة إلى صدرها واستمرت بالبكاء فأتت جيهان لتخفف عنها وتهدئها فقالت ندى بلهجة صارمة ممزوجة بنحيب متقطع:

- سأشرع على تنفيذ وصية أخي ولو تطلب الأمر استنفاذ قدراتي كاملة!

فردت جيهان بحماسها ولطفها المعتاد:

- وأنا وسارة سنكون معك خطوة بخطوة!!

تعانقتا بحب جمّ وانقطع بكاء ندى أخيرا ثم همست بدورها:

- أحبك يا جيهان! أحبك!

- وأنا أيضا أحبك!!

ثم خرجت مع صديقتها إلى المنزل لرسم خطة تصلح لتنفيذ وصية أيهم الخطيب، شقيق ندى الأصغر....

31
خطة تنفيذية مُحكمَة

جلست جيهان على مقربة من ندى بينما كان صمت مهيب يلف أرجاء المكان ولقطع الصمت الذي دام طويلا سألت جيهان بشيء من الحماس:

- والآن ... من أين سنبدأ؟؟
- انتظريني ... سأجلب ورقة وقلم وأرجع

كان رد ندى مغمور بالبرود والفتور لكن جيهان لم تلمها فقد كانت تعاني من فقدان أخيها الذي ما زال في ريعان الشباب، وبعد أقل من دقيقة أحضرت ندى ورقة وقلما وجلست بقرب صديقتها ثم خطّت: أحدّث أمي قبل كل شيء من أجله وأخبرها بما طرأ معي من أحداث، ثم أذهب مع صديقتي المناوبة للعيش في منزل أخي وبعد التأقلم الذي يحتاج لبضع أيام أذهب لزيارة طليقته وأولاده ومعي الأكياس البرتقالية، وعند الخطوة الأخيرة أكون قد تعمّقت في البحث عن صدقة أو صدقات جارية أنفق نقوده من خلالها....

شرعت ندى من تدوين الخطة فعرضتها على جيهان فلاقت تحبيذا وإعجابا من الطرف الآخر، وفورا صعدت ندى إلى غرفتها لكي تتصل بأمها الحبيبة...

* * * * * * * * * * * * * * * * *

يرن ... يرن ... يرن ... يرن

- آه مرحبا ... كيف حالك يا أمي العزيزة لقد اشتقت لك كثيرا!
- ندى؟!! ابنتي الحبيبة أهلا بك وأنا أيضا لقد فاض شوقي لك، كيف حالك؟! هل صحتك جيدة؟! هل عملك بخير؟! هل أصابك مكروه؟! يا نعجتي الوديعة!

تساقطت العبرات بسخاء على وجنتي الأم وبالتالي على وجنتي ابنتها المغتربة فقالت ندى بما أوتيت من قوة:

- لا يا أمي لا ... أنا بخير الحمد لله ... لكنني فتحت اليوم رسالة أيهم مع أنه أوصاني بها منذ ثلاث سنوات تقريبا ... وكان فيها طلبا منه...
- خيرا يا ابنتي ما هو؟!
- أراد مني الاتصال بك وحثّك على الدعاء له والصفح عنه
- أنا أدعوا له ليلا ونهارا، في صلواتي، في كربي وفرحي، في شفائي وسقمي، فليغفر الله له وليرحمه ويجعل مثواه الجنة
- آمين ... آمين
- ندى لا تهملي نفسك ... أحبك يا ابنتي!
- لا توصي حريص يا أمي ... وأنا أعشقك وأحن إليك! ... هل تريدين شيئا مني؟؟
- اذهبي ... رضي الله عنك وسهّل طريقك وبارك بك
- آمين يا حبيبتي ... السلام عليكم
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته!

أغلقت ندى الخط بينما تشعر بارتياح غريب يسري في عروقها، نعم! لقد بدأت بتنفيذ وصية أخيها، وفجأة اهتز الهاتف معلنا وصول رسالة وكانت هذه المرة من عمر!

- آنسة ندى ... لقد حفظت سورة الفاتحة شكرا لك
- أحسنت يا بطل ... سأسمعها منك عندما أزوركم إن شاء الله
- ومتى ستزورينا؟
- في الأسبوع الحالي لدي بعض الأشغال فسنتواصل عن بعد لكنني أعدك بزيارة في الأسبوع القادم ... يوم السبت
- إن شاء الله!!

كانت هذه المرة الأولى التي ينطق بهذه الجملة لوحده " إن شاء الله " لقد بدأ يستجيب مع ندى إذا! يا له من طالب نجيب يستحق التقدير!

* * * * * * * * * * * * * * *

توسطت حقيبة سفر ندى سريرها وضعت فيها كل ملابسها قمصانها ذات الألوان الفاتحة بناطلها الجينز المدرج والكتان فساتينها الداكنة والزاهية وتنانيرها ذات الأحجام المختلفة وطبعا مع باقي احتياجاتها من ملابس للصلاة ... مستلزمات شخصية ... الحليّ إلخ ارتدت أفرول كيوي لطيف ذو أكمام صغيرة وفوقه معطف جينز أبيض قصير مع حذائها الأبيض المعتاد، دلفت من غرفتها لتلاقي صديقتيها بانتظارها فلقد عادت سارة ليلة أمس وأخبرتها بكل شيء، ركبن في سيارة جيهان باتجاه منزل أيهم الذي سيصبح منزل ندى من بعد الآن...

- لقد وصلنا!

قالتها جيهان ثم دلفن جميعا إلى داخل المنزل، كان منزل أيهم واسع بعض الشيء وجميل أثاثه عصري كما أنه يحتوي أربعة غرف غرفة استقلتها ندى وغرفة لسارة وغرفة لجيهان التي قررت المكوث دائما مع ندى ونسيان تركيا حاليا، بالإضافة إلى أنه يحتوي بلكون مفتوح على المطبخ وحمام كبير أخيرا، وبعد انتهاء كل فتاة من ترتيب أغراضها داخل غرفتها اجتمعن ثلاثتهن في غرفة المعيشة ليبدأن سمرهن ومناقشتهن، فبدأت ندى:

- هل أعجبكم المنزل؟

قالت جيهان بحماس:

- نعم لقد أحببت غرفتي كثيرا كما أحببت المطبخ أيضا!

- وأنا أيضا أحببت غرفتي وأحببت الحمام ولذلك سأدخل الآن لأعمل حماما سريعا!

قالت سارة جملتها الأخيرة ثم ركضت نحو الحمام مخلفة جيهان وندى لوحدهما فهمست جيهان:

- ما التالي الآن من أجل الوصية؟؟
- سأذهب غدا إلى أبناء أخي و ... أمهم!
- سنذهب معك! فلن نتركك معها لوحدك ... اتفقنا؟؟
- اتفقنا فليس باليد حيلة!
- والآن ماذا نتناول على الغداء؟

أطرقت ندى تفكر ثم قالت ببرود:

- رز بخاري مع سلطة
- حسنا إذا سننتظر ريثما تخرج سارة من الحمام ثم نبدأ ثلاثتنا في الطهي!
- فكرة جيدة

32
زيارة من مجهول

استيقظت ندى كعادتها مبكرا، أخذت حمامها المعتاد ثم لبست بنطال جينز رمادي اللون وقميص أسود عريض وطويل يصل إلى فوق الركبة بشبر تقريبا يمتلك زنار بعرض الكف لامع وفضي اللون ثم لبست فوقه معطف رقيق ناعم خمري فقد كان الجو سيئا في الصباح الذي قررت فيه زيارة أبناء أخيها أيهم وأمهم، وبعدها لبست جزمة سوداء مصنوعة من جلد التمساح ساقها قصيرة وفردت شعرها الذي ملّسته بإتقان لتضع فوقه قبعة صوفية رمادية اللون، كما أنها لم تضع أصباغا لوجهها قط بل اكتفت بتكحيل عينيها الجميلتين ذات اللون الأزرق....

ركبن ثلاثتهن في السيارة ندى، جيهان وسارة ثم حددت جيهان موقع المنزل على جهاز تحديد المواقع ال "ج ب س GPS" وانطلقن ببطء، كانت جيهان قد شغّلت جهاز تكييف الهواء على الوضع الساخن بسبب شدة برودة الجو ولكيلا يصاب أحدهم بنزلة برد، طالعت ندى الطرقات من زجاج السيارة الذي ينهمر المطر عليه بتتابع وبدأت تشاهد الحياة الشتوية مستمتعة، فعلى الرصيف توجد امرأة تبدو في العقد الرابع من عمرها تحمل طفلا صغيرا قد يكون بلغ الثالثة وتضع المظلة فوق رأسيهما بحب لكيلا تفسد قطيرات المطر نزهتهما الصغيرة، وبائع الخضار العجوز الذي يهمّ بكل رشاقة ونشاط وكأنه غدا طفلا لكي يغطي ويحمي مبيعاته من البلل والفساد بينما ينقل بعضها إلى داخل المتجر، وهؤلاء الفتية الذين يعبثون بالوحل ويلعبون تحت حبات المطر ليسوا آبهين لأمهاتهم اللواتي ستتعبن في تنظيف ثيابهم التي غدت في شدة التوسيخ بالإضافة إلى الزكام الذي سيصيبهم بعد هذا اللعب الطفولي تحت المطر، فعلا إن حياتنا كفيلم طويل مليئة بالمشاهد المختلفة وكذلك البشر كل واحد

منهم يعيش على سجية مختلفة على نمط مختلف مع عائلة مختلفة والاختلافات لا تعد ولا تحصى في دنيانا، قطع صمتها وتفكيرها العميق صوت سارة تناديها وتحثّها على النزول:

- ندى ... ندى ما بك؟؟ هذه المرة الثالثة التي أقول لك فيها انزلي، فلقد وصلنا!
- آه ... آسفة لم انتبه!!

دلفت ندى من السيارة لتلحق بصديقتيها ثم صعدن سويا وطرقت ندى وحدها جرس باب منزل لا تعرف ماذا يخفي لها خلفه!

* * * * * * * * * * * * * * * *

فتحت لها امرأة في العقد الثالث الباب، كانت وسيمة ورزينة للغاية بشرة بيضاء وعينان عسليتان كبيرتان مع رموش طويلة وكثيفة، بالإضافة إلى ضفيرتها الكستنائية العريضة التي كانت تضعها على كتفها، امرأة بملابس منزل عادية بنطال قماش بالونين الزهري والأبيض عريض وكنزة وردية تضعها بداخله لقد كانت هذه المرأة جميلة وجذابة حقا!...

- عفوا ... هل أنت زوجة أيهم الخطيب؟؟
- أنا كنت زوجته ... ولماذا تسألين؟؟
- أنا أخته الكبرى ندى الخطيب ... لقد طلب مني بوصيته تسليم بضع أشياء إليكم
- آه أنتِ هي ندى؟؟! بالنظر إليكِ لا تبدين مشابهة لما قاله أيهم لي عنكِ وعن أخلاقك الرفيعة ... حسنا أعطني الأشياء وغادري حالا

تمالكت ندى نفسها بصعوبة ثم زفرت بحنق وقالت بلهجة صارمة:

- كما طلب مني التعرف عليكم وتوطيد العلاقات بيننا

نظرت " رهف " إليها نظرة ريبة ثم ابتسمت ابتسامة صفراء وأدخلتهن للمنزل، دلفت ندى لغرفة المعيشة فرأت طفلين في غاية الروعة كما أنهم توأم!! الطفل كان يشبه أمه والطفلة كانت تشبه أخيها أيهم بعينيها الخضر وبشرتها البيضاء وشعرها الأشقر القصير، كنت أظن

أن التوأم متشابهين خلقا لكنهما مزيج من الأبوين في شكلهم، خاطبت رهف ولديها وهي تصفق:

- هيا ... هيا عندنا ضيوف ... أطفئوا التلفاز فورا!

قاما بتنفيذ أمرها بسرعة ثم جلست أمهم مقابل ندى وصديقتيها على الأريكة وجلسوا بقربها، ثم قالت لتعريف الأولاد من يكونون:

- الآنسة ندى الخطيب عمتكم ... الآنستان جيهان وسارة صديقتيها

فغرا فاهما من الدهشة ثم هتفا بصوت واحد:

- عمتنا؟!! وهل أنت عمتنا؟!!

- نعم يا أحبائي أنا عمتكم ندى!

قفزا في آن واحد وعانقا ندى بحب جم، فكم كان من الرائع وجود أقارب لهم في هذه الغربة غير أمهم!...

- ما اسمكما يا حلوين؟

- أنا آية الخطيب

- وأنا حمزة الخطيب

- كم هذا رائع!!

وبعد أحاديث طويلة مع الأولاد ومقتضبة مع رهف سلمتهم ندى الأكياس ثم رحلت مع صديقتيها، وكان الطقس قد غدا أفضل...

ولقد بقيت الصدقة الجارية في طريق ندى فماذا ستكون؟؟ وهل سيحالفها الحظ بها؟؟

33

سُقيا الإحسان

جلست ندى مع سارة وجيهان أمام شاشة التلفاز يتابعون الجزء الرابع من مسلسل " قيامة أرطغرل" وهو مسلسل تركي تاريخي يعرض فترة العصر السلجوقي وبداية العصر العثماني، كانت الحلقة حزينة جدا يولد فيها عثمان ابن أرطغرل وهو مؤسس الدولة العثمانية، ثم تموت أمه بمرض الخانوق وتخلف ورائها ابنين الأكبر في السادسة تقريبا والثاني عمره سنتين أو أقل حتى!!! يلف الحزن كل أرجاء القبيلة ويتألم أرطغرل وأمه السيدة " هايماه " كثيرا وكان عثمان ما يزال حديث الولادة....

كانت ندى وصديقتيها من متابعين وعشاق المسلسل فانهمرت دموعهما من المشهد المؤثر للغاية، يبكي عثمان فتستيقظ أمه على صوته تحمله إليها وبعد ثواني قليلة يبدأ تنفسها يضيق وصدرها ينقبض إلى أن لفظت أنفاسها الأخيرة وماتت، وبعد بكاء عثمان الطويل أحس أبوه أرطغرل بالعجب فدخل ليجد زوجته وأم أولاده " السلطانة حليمة " متوفاة فيحمل عثمان على يديه ويبكي زوجته كثيرا ثم تدخل أمه لتشاركه العويل بعد صدمتها الكبيرة وأخيرا المشهد الأكثر حزنا عندما يدخل ابنها الأكبر " غوندوز " يصدم بسبب عدم حراك أمه فيبدأ بالصراخ ومناداتها والبكاء لكن لا فائدة فروحها كانت قد فارقت جسدها منذ مدة!!!

وبينما كان المسلسل يعرض والحلقة تكتمل وُضعت بضع إعلانات، ألبان وأجبان حارتنا.. مدارس قرطبة الدولية.. ديباج العالمية.. أكاديمية تزكية الدولية.. جمعية الإحسان الخيرية...

بينما علقت جملتان في ذاكرة ندى: ديباج العالمية جسرك للإنسانية، مع الإحسان عطاؤك بأمان..

دونت بعض الأرقام والعناوين على قصاصة ورقية ثم انتظرت لنهاية الحلقة وعندما انتهت الحلقة دخلت إلى غرفتها وأجرت بعض البحوث عن موضوع شغلها ثم اتخذت قرارا مهما ستكون هناك صدقتان الأولى حفر بئر في إحدى الدول النامية بمساعدة شركة ديباج العالمية لسقيا الماء، والثانية توزيع وجبات طعام للمساكين مع مساعدة جمعية الإحسان...

لكنها أبقته سرا فالصدقة يجب أن تكون مكتومة ولا يجب الإفصاح عنها...

زارت قبر أخيها في اليوم التي أنهت فيه مهمتها، مسكت حفنة من التراب ثم بعثرتها من جديد وهي تكرر نفس الجملة:

- لقد نفذت وصيتك يا أيهم ... لقد نفذت وصيتك يا حبيبي هنيئا لك لقد رحت لكي تلقى ربك ... جمعنا الله وإياك في جنان الخلد أرقد بسلام يا أيهم أرقد بسلام يا أخي العزيز الغالي!!

كانت دموعها كافية لكي تسقي قبره وتفيض لأنها اجهشت في بكاء مرير بعد أنهائها لجملتها، لقد كانت تريد التفريغ نعم! أرادت تفريغ كل الشحنة السلبية التي بداخلها أرادت الفضفضة لكنها خشيت التكلم إلى أحد أفراد عائلتها أو إلى إحدى صديقاتها فلم تكن أنانية لدرجة وضع نفسها محور حياة الآخرين فبدأت تفضفض لأخيها الحبيب مما جعل من يمر أمامها يحسبها مجنونة أو فاقدة لعقلها، كم كانت تعشق أيهم وتصرفاته الصبيانية الشقية المشبّعة بالحب والود بالوقت ذاته...

34
وليمة الصُّلْح!

كوّنت ندى على هاتفها رقما كانت قد حفظته عن ظهر قلب في الآونة الأخيرة انتظرت لدقيقة أو اثنتان حتى أتاها الصوت البريء ذاته الذي تحبه:

- ألو ... أهلا آنسة ندى كيف حالك؟؟
- بخير والحمد لله وأنت؟
- الحمد لله..

تريّث قليلا ثم قال بثقة كانت واضحة من صوته الثابت:

- آنسة ندى ... لقد حفظت سورة الإخلاص وسورة الفلق وسورة الناس وأخيرا سورتَي الكوثر والعصر!
- آه هذا رائع جدا!! أحسنت يا بطلي!
- اليوم هو السبت ستأتين إلى منزلنا ... صحيح؟!
- نعم بالطبع سآتي كما أنني سأصحبكم معي إلى منزلي فأنا أعدُّ مع صديقاتي وليمة جميلة لكل الأحباب، وأنت مدعوون ... إذا وافقت سوزان طبعا!
- بالتأكيد ستوافق سوف أقوم بإقناعها لا تقلقي أبدا ... لكن متى ستأتين؟
- كالعادة عند تمام الرابعة عصرا ... إن شاء الله
- بانتظارك إذا ... السلام عليكم
- وعليكم السلام عزيزي عمر

أغلقت الخط ثم ذهبت إلى صديقتيها وابتسامتها العذبة تملأ وجهها ليبدأن في تحضير طعام الوليمة الصغيرة، فقامت جيهان بالاتصال بالجزّار من أجل " اللحم على العجين " بينما

سلقت سارة ورق العنب وجهزت الحشوة لتبدأ بلف " اليبرق " أما ندى أخذت الاختصاص الذي تحبه صنع " الكبة المقلية " و " الكبة المشوية " وعند انتهاء جيهان من الحديث مع الجزّار قامت هي أيضا لتحضر السلطات و "التبولة" وأخيرا المقبلات كالمقالي المتنوعة: بطاطا.. باذنجان.. زهرة.. فليفلة.. بندورة إلخ و" المتبّل " وأيضا " البابا غنّوج " وأخيرا وليس آخرا " الخبّيزة " فهي لم تكن تجيد الطبخ كثيرا لأنها غالبا تتناول الوجبات الجاهزة أو المعلّبات...

وعند انتهاء ندى من صنع الكبة المقلية وقليها والكبة المشوية وتشميعها* اعتذرت من صديقتيها بعد القليل من المساعدة في أعمالهن وقامت لتجهز نفسها ومن ثم استقلت سيارة أجرة للذهاب إلى منزل عمر والوصول على الموعد...

---

* تشميعها: شوي الكبة قليلا ليس إلى درجة الاستواء " نصف شي "

* * * * * * * * * * * * * * * * *

لقد كانت الجلسة عند عمر أوسع هذه المرة فلم تكن ندى تريد إضاعة وقتها فقامت أولا بالاستماع إلى السور القرآنية التي أتم حفظها، ثم حدثته عن ليلة القدر وعن فضلها بعبارات مفهومة حتى يتمكن عقله الغض من استيعابها، ثم حملت له تطبيق " دولينجو dolıngo" الذي يمكنه من تعلم أي لغة يريد بشكل مبسط من دون دروس حيث يبدأ بالأساسيات أولا ثم تتقدم المرحلة إلى أن يصبح المتعلم متقنا للغة المنشودة، كان عمر يرغب في تعلم اللغة التركية بالإضافة إلى لغتيه الأساسيتين الإنجليزية والفرنسية والعربية طبعا، فقام بحلّ بضع دروس ثم انتقل مع ندى لشيء آخر على أمل تكميل بضع دروس أخرى في وقت لاحق...

- والآن يا عمر ... لقد أحضرت لك قصص باللغة العربية الفصحى لكي تقرأ قصة يوميا قبل النوم وهكذا تمكّن لغتك الأم فما رأيك؟؟
- آه هذا جميل!! شكرا جزيلا لك!

كانت سلسلة " المملكة الخضراء للقصص " مثيرة حقا بالإضافة إلى سلسلتي قصص " شباب الصحابة " و " قصص من القرآن " وأخيرا "قصص الأنبياء " وقصة " قطار الجنّة "، وبعد اطلاع عمر على قصصه الجميلة ورصفها على أحد رفوف غرفته بأناقة وترتيب تجهز وسوزان ثم ذهبوا مع ندى إلى الوليمة..

دعت ندى رهف وأولادها إضافة إلى سوزان وعمر وبعض الأصدقاء، وبعد الوليمة وبينما كانت ندى في المطبخ تعد الشاي المميز مع الهيل والقرفة سمعت صوتا من ورائها يخاطبها فالتفتت سريعا:

- عزيزتي ندى ... من فضلك يجب أن نتحدّث
- رهف؟؟! ما الذي تريدينه منّي؟
- اجلسي قليلا من فضلك فلدي شيء ضروري عليّ إخبارك به

جلست ندى طواعية لرغبات رهف فمن الجيد أنها كانت من النوع العاقل الذي لا يفسد المناسبات السعيدة فلو لم تكن كذلك لكانت تعاركت بشدة مع المرأة التي أمامها والتي بذات الوقت تعتبرها خائنة للعشرة وناكرة للجميل، وبعد صمت ران للحظات فاتحتها رهف بكلمة وحيدة خرجت من أعماقها معاني دفينة كما أنها جعلت صدى على قلب ندى:

- آسفة!!

حملقت ندى في الفراغ ... رهف العنيدة تعتذر وبهذه الطريقة المقنعة!!!

- أنا آسفة على كل شيء آسفة لأنني خنت العشرة ونكرت الجميل آسفة لأنني تركت أيهم في مأزق وخرجت منه كالقشة من العجين آسفة لأنني تصرفت بوقاحة معك ومع عائلتك آسفة من أجل لامبالاتي وتصرفي الأناني أنا...

وكأن الكلام قد علق في حلقها فلم تستطع الإكمال، فمع أنها تدربت على هذه الجمل طويلا إلا أنها كانت من شدة حزنها لا تستطيع تتمة كلامها وحتى حين تكلمت كانت تنطق بكلمات سريعة عالية جعلت كل المدعوين يسمعون أو ينصتون للحوار من قبل الطرف الواحد

لأن ندى كانت مطرقة بصمت وكأنها تعيش بعالم آخر فتابعت رهف غير مبالية لصمت ندى والعبرات تهطل على وجنتيها بغزارة:

- ندى أرجوك سامحيني ... لا تضعي حملا ثقيلا فوق حملي، لقد ندمت على كل شيء فعلته ودعوت الله أن يغفر لي ويرحم أيهم لقد دعوته قياما وقعودا!! أرجوك يا ندى أرجوك سامحيني أرجوك!!

وبعد صمت ران طويلا قالت ندى بصوت عميق مهتز بعض الشيء:

- سامحتك ... سامحك الله يا رهف وغفر لك، لقد ندمت وتبت توبة أتمنى أن تكون نصوحة، لقد لقّنتك الحياة درسا لن تنسيه ما حييتِ لكنك ومع الأسف ندمت بعد فوات الأوان ليتك راجعت نفسك عندما كان أيهم حيا يرزق ليتك اعتنيت به لعله كان شفي لكن قدر الله وما شاء فعل، انسي الآن وعودي إلى رشدك

لم تستطع رهف التكلم بكلمة أخرى بل تهاوت على أحضان ندى وأخذت تبكي وتنحب طويلا بينما ندى تقوم بالمسح على شعرها وبعدما انتهت من البكاء وهدأت تماما قالت بلهجة حانية:

- صحيح أن أيهم توفي، لكن آية وحمزة ما زالوا على قيد الحياة لذلك سأهتم بتربيتهم وتأسيسهم على المبادئ التي رسمها أيهم لهم ليكونوا أولادا صالحين لي ولوالدهم..
- بارك الله بك وجعلهم قرة لعينك يا رهف!

يا لعجائب القدر!! لقد كانت الوليمة سبيلا لتصافي القلوب وتنقية النفوس فها هي بطلتنا ندى تمشي مع رهف كتفا إلى كتف فرحتين بالصلح بينهما!!

35

أعراض غريبة!

كان المنزل الجديد الذي عاشت ندى وصديقتيها فيه قد غدا متسخا ويحتاج إلى التنظيف، فقررت ندى أن تقوم بتنظيفه معهم أو كما كانت تسميه *" التعزيل"* فجهّزت العدّة ليبدأن ثلاثتهن سويا...

وفي يوم الاثنين وبينما كانتا ندى وسارة يهمّان بتنظيف المطبخ شعرت ندى بضيق نفس ووهن شديدين فلاحظت سارة عليها ذلك فسألتها بشيء من الريبة:

- ندى ... هل أنت بخير؟؟
- لا تقلقي تعب بسيط
- لكن وجهك يبدو شاحبا نوعا ما!
- قلت لك لا تهتمّي ... تعلمين العمل شاق بعض الشيء

استمرت ندى بغسل الصحون وتنشيفهم وبينما كانت تحمل وعاء زجاجي كبير لم تستطع تمالك نفسها والسيطرة على جسمها المرتعش فأفلتت الوعاء من يدها ليحدث ضوضاء عالية وينكسر، فهرعت سارة إليها وهي تصرخ وتنادي:

- ندى!! هل أنت بخير؟؟؟ ... جيهاان تعالي بسرعة جيهاان أسرعي!

حضرت جيهان بسرعة فرأت ندى مسجاة على الأرض وترتعش بشدّة ... بينما تتمتم سارة بعبارات مبتورة وغير مفهومة فأسرعت هي الأخرى لتقوم بمساعدة سارة بوضع ندى على السرير، كما قامت جيهان بإعطائها بعض المسكنات والفيتامينات ولوح من الشوكولاتة الداكنة فهدأت ندى سريعا وغطّت في نوم عميق وعندما خرجتا من غرفتها همست سارة:

- ما بها؟؟ هل هي بخير؟!

- أظنها بخير الآن فغالبا أنها تعرضت إلى هبوط سكر مفاجئ مما أدى إلى ارتعاشها وارتفاع درجة حرارتها
- كما أنها كانت تشعر بوهن وتعب
- نعم ... فليرحمنا الله
- تابعتا سويا تنظيف المطبخ ثم طلبت جيهان بيتزا وأوقظت ندى لكي تأكل:
- ندى ... لقد جلبت لك بيتزا فأنا أعلم أنك تعشقينها
- شكرا لك ... لكنني لست جائعة ولا شهية لي للطعام تناولاها أنتما
- لكن يا ندى ... يجب أن تأكلي فلقد أخذت جرعة عالية من الفيتامينات والمسكنات
- اتركوا لي قطعة عندما أجوع آكلها
- كما تشائين

تكررت حالات الوهن والتعب مع ندى بالإضافة إلى الحمى المستمرّة والارتعاش كما أنها فقدت سبعة كيلو من وزنها فقامت جيهان وسارة بإسعافها إلى المشفى بعد أن فقدت الوعي وارتفعت حرارتها إلى 41 درجة!!

* * * * * * * * * * * * * * * *

وعند خروج الدكتور من غرفة ندى سارعت جيهان بسؤاله فكانت متماسكة بعض الشيء بينما كانت سارة تجلس على الكرسي ودموعها تنهمر بغزارة على وجنتيها:

- نعم يا دكتور ... هل ندى الخطيب بخير؟؟
- اسمعيني جيدا يا آنسة...؟
- جيهان
- هل هناك صلة بينك وبين المريضة؟؟

امتقع وجه جيهان فور سماعها كلمة مريضة فهل ندى مريضة فعلا؟؟ أم أنها عبارة متداولة عند الأطباء؟

- صديقة طفولة مقربة جدا!
- حسنا ... كل شيء بيد الله تعالى ويجب علينا الصبر والتسليم للقضاء والقدر، كما يجب على ندى التواجد في مساحة هادئة ومريحة كما يلزمها الدعم النفسي جدا!! فهذا سيساعد بعض الشيء على شفائها بالإضافة إلى العلاج الذي ستقدمه لها المستشفى مجانا...

صمت الطبيب قليلا وكأنه يرتب الأفكار في رأسه بينما حثّته جيهان على المتابعة بنظرة رجاء فتنهّد بعمق ثم أردف:

- الآنسة ندى الخطيب مصابة باللوكيميا ... أو ما يعرف بسرطان الدم
- ماذا قلت؟؟ أعيد مجددا!
- ندى مصابة بسرطان الدم

وكأن الزمن توقف فبعدما رمى الدكتور جمال بقنبلته في الجو تفجّر دماغ جيهان فغرت فاها وامتلأت الدموع في مقلتيها فتابع الطبيب بهدوء شديد:

- آنسة جيهان تمالكي نفسك رجاء ... من أجل صديقتك

لم تستطع الرّد عليه بينما حانت منها التفاتة لعند سارة فرأتها في حالة يرثى لها تبكي بحرقة واضحة بينما تماسكت هي وحبست دموعها مؤقتا...

- يجب عليك إخبار المريضة ... لكن أرجوك تمالكي نفسك وحاولي التخفيف عنها اتفقنا؟؟

حرّكت رأسها علامة الإيجاب ثم ذهبت لتواسي سارة مع أنها كانت بحاجة ماسّة لمن يواسيها، وبعد سكون سارة ذهبن ثلاثتهن إلى المنزل وفي السيارة كانت سارة هادئة جدا بينما استفسرت ندى:

- هل قمتما بسؤال الطبيب عن حالتي؟؟ كيف غفلت عن فعل هذا أنا؟؟

قالت جيهان متجنبة النظر إليها وهي تقود:

- آه ... ألم تسأليه أنت سامحك الله ظننتك فعلت
- إذا لم تفعلا ... الحمد لله مضت

ابتسمت سارة ابتسامة باهتة محاولة التخفيف عن صديقتها ثم قطع الحديث وصولهم إلى المنزل...

* * * * * * * * * * * * * * * *

أوصدت جيهان الباب على نفسها ثم تهالكت على أرض غرفتها وبدأت تبكي وتصرخ صرخات مكتومة كانت تحاول تمالك نفسها طيلة تواجدها خارج المنزل لكنها لم تستطع فعل هذا أكثر فندى صديقة طفولتها وأختها الحبيبة وكل عائلتها مرضت مرضا عضالا إنه سرطاان!! وسرطان للدم أيضا!! كيف حصل معها هذا!! كيف ستخبرها بالحقيقة!! كيف.. كيف؟؟ يجب عليها التعجيل بإخبارها.. يجب عليها إيجاد طريقة لفعل هذا.. نعم يجب...

تمالكت نفسها ثم نقلت رقم سوزان من على جوال ندى من دون علمها واتصلت بها:

- ألو! من معي؟؟
- مرحبا آنسة سوزان العيسى ... أنا جيهان مندو صديقة ندى الخطيب
- أهلا وسهلا بك! ماذا أخدمك
- اسمعيني أرجوك ... أحتاج إلى مساعدة عمر فندى ومع الأسف..
- خير إن شاء الله ... هل حصل لها شيء؟؟
- إنها ... إنها مصابة باللوكيميا!

صرخت سوزان عاليا ثم قالت بحدّة:

- كيف؟؟ ومتى؟؟ ومن قال لك هذا؟؟؟ هل تمزحين معي تكلمي أرجوك!

- أنا لا أمزح اليوم أسعفناها إلى أقرب مستشفى وتبين مع الطبيب هذا
- عافاها الله ... وماذا يمكن لعمر فعله؟
- سيعطيها جرعة أمل فهو متفائل جدا كما وصفته ندى لي ... كما أنه غدا غالٍ جدا على قلبها!
- حسنا سنأتي في الساعة الثامنة هل هذا جيد؟؟
- نعم جيد ... أراك لاحقا السلام عليكم
- وعليكم السلام ... إلى اللقاء

* * * * * * * * * * * * * * * *

فتحت ندى هاتفها المحمول ثم كتبت في البحث:

ما المرض الذي تحتوي أعراضه: حمّى وارتعاش، شعور بالتعب والوهن الدائم، فقدان شهية وانخفاض الوزن، التعرض لضيق نفس وإعياء شديدَين؟

وكانت الإجابة المتكررة على المواقع المختلفة هي: سرطان الدم أو اللوكيميا

كتمت صيحتها وتساقطت العبرات على وجنتيها بسخاء، هكذا إذا لقد أصبت بالسرطان لقد كتمتا المعلومة عليّ آه ... قدّر الله وما شاء فعل! قدر الله وما شاء فعل!!، تعالت الطرقات على بابها فكفكفت دموعها وسمحت لجيهان بالدخول...

- عزيزتي ندى تجهزي فعمر وسوزان على الطريق
- حقا!! حسنا سأتجهز وآتي
- بانتظارك

أتى عمر وسوزان وبعد جلوسهم قليلا بدأت سارة الحديث بهدوء وروية:

- لله الحمد من قبل ومن بعد ... وطوبى للصابرين فكما نعرف الصبر مفتاح أبواب الفرج والصبر عند البلاء يزيد الأجر والثواب فأعمارنا وصحّتنا ومالنا وأحبابنا كلها بيد الله تعالى

فعلّقت جيهان على كلامها:

- أبصم لك بالعشر أصابع ... كما أن التفاؤل يساعد على تخطي المشاكل وكما جاء في الأثر " تفاءلوا بالخير تجدوه "

وبعدها تكلمت سوزي:

- أوَ ما سمعتم زرادشت حين قال: " تعلّم كيف تضحك، تعلّم كيف تبتسم عندما تعترضك الصعاب "؟

وبعد سكون طويل كانت الكلمة الأخيرة للصغير عمر فقال بعينين مغرورقتين بالدموع:

- آنسة ندى ... لقد كنت أمي عندما ماتت أمي.. لقد كنت معلمة وداعية وصديقة وأخت لي وأنا أحبك كثيرا، كما أنّك علمتني الصبر وعلمتني أيضا التسليم لقضاء الله وقدره وعدم الاعتراض على هذا، آنستي علمت بذهابك للمستشفى وعلمت بما قاله الطبيب لصديقتيك الآنسة جيهان والآنسة سارة، قال إنك ... مصابة بسرطان الدم!

صمتت ندى قليلا ثم قالت بلطف محاولة تماسك نفسها:

- حبيبي عمر كم أنت مؤدب ولطيف! ... نعم الصبر مفتاح أبواب الفرج كما أنني علمت بمرضي منذ مدّة، فلا تقلق وإن شاء الله سأحاول أن أكون قويّة وسنستمر بالدروس حتى لو كان من المستشفى أي عن بعد، وإن ... وإن متّ فستكمل جيهان طريقي بمساعدة سارة، بارك الله بك!

قام عمر من فوره وعانق ندى بشدّة فكم كانت قويّة وقامت الفتيات الثلاثة بعناقها على أثره...

سأتغلب على المرض ... سأصبر وأسلّم لقضاء الله وقدره ... لن أيأس ولن أحزن ... لكنني لم أخبر أمي حاليا لعلّني أشفى ولا أحتاج إلى إخبارها... يا الله يا رحمن يا رحيم أمدّني بالقوّة وأشفيننني وارحمني يا أرحم الراحمين ! !

36

علاج

ذهبت ندى في اليوم التالي إلى المشفى وعند انتهاء الطبيب من معالجة المرضى ودخول ندى مع جيهان إليه قالت له ندى بلطف بعد إلقاء التحية عليه:

- دكتور ... أرجوك أريد منك إعطائي معلومات مفصّلة عن مرض سرطان الدم الذي أعاني منه إن أمكن!
- بكل سرور وإن شاء الله سنبدأ بجلسات العلاج من صباح الغد ... وهذا العلاج يتضمن ثلاثة أنواع: العلاج الكيماوي، وزراعة نخاع العظم والخلايا الجذعية، فأنت تعانين من سرطان الدم الليمفاوي الحاد
- حدّثني عن مرض السرطان بشكل عام
- سرطان الدم هو نوع من سرطان خلايا الدم والأنسجة التي تنتج خلايا الدم مثل نخاع العظم في الوضع الصحي الطبيعي، حيث تنشأ خلايا في نخاع العظم كخلايا جذعية وتنضج لاحقا لتشكل أنواعا مختلفة من خلايا الدم وتنتقل إلى مجرى الدم، أما من يعاني من سرطان الدم فيبدأ نخاع العظم لديه بإنتاج خلايا الدم البيضاء غير الطبيعية التي تدخل إلى مجرى الدم وتبدأ بمنافسة خلايا الدم الطبيعية السليمة وتمنعها من القيام بوظائفها بالشكل السليم...
- امممم ... وما هي أنواع سرطان الدم؟؟؟
- هناك نوعان، النوع الأول هو سرطان الدم الحاد: حيث ينمو ويتفاقم بسرعة كبيرة جدا، وقد يهدد الحياة، ففي هذا النوع يبدأ نخاع العظم بإنتاج أعداد كبيرة من خلايا الدم البيضاء غير الناضجة والتي تدخل إلى مجرى الدم كما تعمل على

منافسة الخلايا الطبيعية ولا تقوم بوظيفتها في محاربة العدوى أو إيقاف النزيف أو منع حدوث فقر الدم ما يجعل الجسم ضعيفا جدا

- وما هو النوع الثاني؟؟
- النوع الثاني هو سرطان الدم المزمن: حيث يتطور ببطء ويتفاقم تدريجيا وقد تحتاج الأعراض لفترة طويلة قبل أن تظهر وفي بعض الأحيان يتم تشخيص سرطان الدم المزمن قبل حتى ظهور أي أعراض لأن الخلايا السرطانية في هذه الحالة تكون ناضجة لدرجة كافية للقيام بوظائفها مثل خلايا الدم البيضاء الطبيعي قبل أن تبدأ بالتفاقم
- وما هي عوامل الخطورة التي تزيد فرص الإصابة باللوكيميا؟؟
- التعرض لمستويات عالية من الأشعة، التدخين، التعرض لمادة البنزين...
- .....
- .....
- شكرا لك يا دكتور .... أتمنى أن أشفى وأعود خالية وسليمة من أي وباء أو مرض
- تفاعلي معنا جيدا، لا ترهقي نفسك أو تغضبي، تفاءلي بالخير ستجديه
- إن شاء الله ... السلام عليكم
- وعليكم السلام

* * * * * * * * * * * * * * * *

مرت سنة على مرض ندى وقد عانت فيها كثيرا فبعد الأعراض الغريبة التي حصلت معها وعلمها بمرضها بدأ شعرها يتناقص إلى أن انعدم وجوده وأحست بتعب ووجع وملل شديدين لكنها وثقت بالله تعالى وسلّمت للقضاء والقدر واستمرّت بالعلاج إلى أن بدأت تشفى تدريجيا وبدأ شعرها يكسي رأسها مجددا وأخيرا وبعد حمد الله وشكره شفيت ندى ولم يضيع الله ثقتها به فحمدت ربّها وشكرته كثيرا وصلّت ودعت وعمّت الفرحة جميع من حولها كما

كان عمر في غاية السعادة مع أنها لم تتركه فلقد علمته الصيام وأركان الإسلام والزكاة عن بعد كما أنه كان قد قطع شوطا كبيرا بتعلم اللغة التركية...

- ألف مبروك يا ندى الحمد لله على السلامة
- بارك الله بك يا حبيبتي جيهان ... لقد كان لوجودك ودعمك لي أثر كبير في شفائي!
- ألف مبروك ندى الحمد لله على شفائك
- شكرا عزيزتي سارة وشكرا على اهتمامك بي ورعايتك المستمرّة لي!
- ألف مبروك يا آنسة ندى لقد فرحت جدا عندما تعافيت ... وهل تعلمين أنني دعيت الله كثيرا من أجلك؟
- حقا فعلت!؟ شكرا يا قلبي شكرا يا عمر البطل
- آنسة ندى مبارك شفائك لقد كنت حقا مثالا يحتذى به في تعايشك ورضوخك للقضاء والقدر!
- شكرا يا سوزان الغالية ... وأنت كنت مثالا يحتذى به في الإشراف على تعليم عمر ومساعدته أيضا
- عمة ندى الحمد لله على سلامتك
- الله يسلمكن يا صغيريّ أحبكم كثيرا!
- عزيزتي ندى مبارك الشفاء
- شكرا لك يا رهف بارك الله بك!

قاموا جميعا باحتفال كبير من أجل شفاء بطلتنا ندى الخطيب، وبعد نهاية الحفل وتأقلم ندى من جديد على حياة المنزل قامت بالاتصال بأمل لتسمع منها التهاني والتبريكات:

- ألو مرحبا يا أمل كيف حالك؟!
- ندى؟!! الحمد لله اشتقت لك كثيرا يا أختي

- هل علمت ماذا حصل معي؟؟ أردت إخبارك بعد انتهائه فلقد كنت مصابة باللوكيميا ولكنني شفيت حمدا لله!
- لوكيميا؟؟؟ هل حقا شفيت يا أختي؟ هل أنت بخير أرجوك أخبريني
- نعم أنا بخير للغاية لقد شفيت يا أمل! لقد شفيت!!

الحمد لله على السلامة يا حبيبتي الحمد والشكر لله!!

ثم أطلقت زغرودة عالية صمّت بها أذن ندى التي كانت تضعها على الجوال وبعدها أردفت ندى:

- كيف حالكم أنت وأمي وأبي
- بخير والحمد لله ... ألا تعرفين لقد خطبت
- مبااارك ... ألف ألف مبارك يا لهذا الخبر الرائع
- إن شاء الله تحضرين العرس معنا
- إن شاء الله يا عروستنا إن شاء الله!!!

أخذت ندى نفسا عميقا ثم قالت بجديّة:

- ألا تعلمين يا أمل لقد راجعت نفسي خلال فترة مرضي فرأيت كم أنني مقصّرة بحق ديني فقررت قرارين هامين في حياتي..
- وما هما؟؟
- القرار الأول أنني سأتحجب، والقرار الثاني أني سأعتمر!
- حقا يا ندى!! قرارين في غاية الجمال ثبّتك الله عليهما لكن هل ستعتمرين لوحدك؟؟
- لا أظن فجيهان ستذهب معي وعلى الأغلب سيأتي غيرها
- امممم ... حسنا إذا نلتقي في العرس إن شاء الله
- تمهّلي قليلا فلست أدري إن كان بإمكاني الحضور لكن متى سيكون؟؟

- بعد عشرة أشهر من الآن إن شاء الله ! !
- ياه ! ! أليست فترة طويلة؟
- لا ليست كذلك إنها فترة جيدة
- كما تشائين يا حلوتي والآن أستودعك الله السلام عليكم
- وعليكم السلام يا عيوني!

قامتا جيهان وسارة بأخذ إجازة من عملهما ثم تحجبت ندى وسافرن ثلاثتهن إلى السعودية لأداء مناسك العمرة وعند انتهائهن من أدائها عادت سارة إلى تركيا لتجمع حاجيات صديقتها بينما تستقر هي هناك أما ندى وجيهان فاستعدتا بشوق لزيارة وطنهما وإنهاء أمورهما في تركيا وأخيرا الاستقرار في سورية فندى لديها عائلة وجيهان لديها عائلة هناك، أما سوزان وعمر فكانا قد بقيا في دبي فلقد انتهت مهمة ندى المباشرة مع عمر بعد تسلميه خيوط التعرف على دينه ومساعدته، وطبعا لا يخلو الأمر من التواصل عن بعد بينهما، وأخيرا جاء اليوم المنتظر لترجع ندى وصديقتها الحبيبة إلى وطنها..

* * * * * * * * * * * * * * * *

عدلت ندى الخطيب غطاء رأسها الزهري ثم نظرت إلى ثوبها الأبيض المزين ببضع زهرات منها الزهرية ومنها الرمادية، ثم وقفت لتلقي نظرة أخيرة على هندامها الجديد فابتسمت في حياء وهمست لنفسها:

- تبدين أجمل في الحجاب يا ندى ! !

وبعدها خرجت مسرعة من غرفتها لأن لحظة الفراق ستنتهي قريبا، لقد انتهت من عمرتها بصحبة جيهان وسارة وها هي الآن سترجع إلى وطنها الغالي إلى عائلتها وإلى كل أحبائها، فأتاها صوت جيهان الحبيبة من بعيد:

- هيا يا ندى سننطلق
- نعم ... نعم أنا قادمة حالا!

- ثم قامت بتتبعها ليتوجها إلى المطار...

37

عَودة!

حطّت الطائرة في المطار الأخير فنزلتا مسرعتين، وعند وصولهما إلى المبنى الخاص بندى نزلتا على عجل ثم صعدتا بالمصعد إلى الطابق الرابع فطرقت ندى الباب ثلاث طرقات خفيفة وهنا حانت لحظة المفاجأة، فعندما فتحت أمل الباب فغرت فاها وصاحت بدهشة لكن ندى أشارت لها بحركة خفية لكي تهدأ فكانت تريد مفاجأة والدتها ثم تعانقتا بحب جم فأتاهما صوت الأم من بعيد:

- من على الباب يا أمل؟ هل أتى أبوك؟

فلم ترد أمل وأفسحت المجال لندى حتى تمر أما جيهان وبعدما كانت قد سلّمت بدورها على أمل تابعت المشهد بهدوء تام لكن صوت الأم تكرر ثانية:

- أمل ... قلت لك من على الباب؟؟

لكن هذه المرة أتاها صوت مألوف لكنه ليس صوت أمل بل إنه صوت...

- إنهم الجيران يا أمي يحتاجون بعض الأشياء

وعندما سمعت الأم الصوت لم تستطع أن تنطق ببنت شفة بل استمرت بالتحديق بابنتها وفلذة كبدها وعيناها مغرورقتين بالدموع وبعد صمت طويل همست الأم:

- ندى؟؟!!

- نعم يا أمي ... ندى

فهبت الأم لتعانق ابنتها أو الابنة لتعانق أمها ودام العناق طويلا والدموع لا تتوقف...

* * * * * * * * * * * * * * * *

وها قد حانت الآن اللحظة التي تخيلتها ندى منذ زمان طويل العائلة جميعا مجتمعة أو لنقل الأحباب جميعا، فكانت ندى قد جلست بين والديها وشقيقتها أمل وعلى يمينهم رغد وأسماء اللواتي نزلن سريعا كزيارة عند علومهن بعودة ندى، وعلى شمالهم سمر وسعاد خالة ندى وابنتها، وجيهان مؤكدا يتربعون كلهم حول مائدة طعام واحدة صحيح أنهم افتقدوا أيهم في تلك اللحظة لكنهم لم يفسدوا سعادتهم فلقد كان كل هذا تكريما لعودة الحبيبة ندى إلى أرض الوطن....

* * * * * * * * * * * * * * * *

بعد سبعةأشهر:

ربما كانت اللحظة التي صعدت فيها لتقود سيّارتها في سبيل تحضير مفاجأة جميلة لزفاف أختها، هي اللحظة الفاصلة في مسيرتها الشخصية، تكّة موسيقيّة تسمعها وحدها تصطحب معها صخب كبير، وترن في لا وعيها فجأة لتعلن مرورها إلى مرحلة أخرى، وحتى ... لتتحول إلى شخصية أخرى بعيدة تماماً عما كانت عليه...

يتبع...

غُربَةُ النَّدَى

لقد أحاطتْ بها المشاكلْ مِن جهاتها الأربعْ فبينما يرقدُ أخاها متلوياً منْ ألمهِ على فراشِ الموتْ، تستدعيها الصدفة لتتواجدَ على متن طائرة ستسقطُ وتتحطمُ لا محالةٍ، لتدوّنَ ملحمة بطولية بين صفحاتِ حياتها على الرّغم من عتب والديها علَيها فماذا سيحصل؟؟ وهل سيواتي بطلتنا الحظ؟؟ أمْ أنّ مَصيرها بعدَ هذه الرحلة سيفوقُ التوقعات أجمع؟؟

جنى صرصر

تصميم الغلاف: جنى